الشيخ / عبد الحميد كشك

١٠٠ مفتاح من مفاتيح

الاستغفار والإجابة

التوبة إلى الله

إعداد

د/ كامل عويضة

دار الروضة للنشر والتوزيع
٢درب الأتراك ـخلف جامع الأزهر
ت ٢٥٠٦٦٨٨٤ محمول ٠١٢٢٣٦٠٨٩٩٥
darelrwdamms@yahoo.com



حائز على شهادات تقدير

من المعارض الدولية والعالمية

* عضو اتحاد الناشرين والمصريين والعرب
* عضو الاتحاد الإسلامي العالمي للدعوة والإعلام

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: ٢٠١٦/١١٣٠٨

الترقيم الدولي: 978-977-458-144-7

فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك

رحمه الله تعالى

الحمد لله على نعمه، والصلاة والسلام على خيرة أممه، أما بعد: فإنَّ فضيلة الشّيخ الدّاعية الكبير عبد الحميد كشك، من أبناء مصر، ولد ومات فيها، عُرف بجودة الخطابة، وحسن الإلقاء، والوعظ البليغ، إذا سمعت إليه، لا تستطيع أن تتركه إلاّ إذا انتهى، وإذا انتهى سألته الإعادة.

ومع هذا فهو من علماء الحديث، والتفسير، والفقه، والعربية، شاعر، ناقد، حافظ، نحوي، ومجود لكتاب الله سبحانه وتعالى، عالم بأحكام الآيات، وعلوم القرآن الكريم، وهو من علماء الأزهر الشّريف.

وقد عُرف فضيلة الشّيخ بزهده، وتواضعه، واحترامه للصغير والكبير، وكان رحمه الله من الذين يدعون إلى الله ﷻ، وإلى توحيده، وإلى نبذ البدع والخرافات.

وللشيخ رحمه الله تعالى كتب شافية كافية مقنعة لطالب الحق، لوضوح أدلته وحسن أسلوبه، وإنصافه لخصمه على ضوء الكتاب والسنة، فأجزل الله مثوبته وغفر الله ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، إنه سميع قريب.

وقد وضَّح الشيخ في خطبه هدى الإسلام في شتى شئون الحياة ومجالاتها السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والاجتماعية، والنفسية، والفنية، وغيرها.

وهو إنتاج غزير من الخطب ثرّ متنوع، وثمت عالم ومفكر، له قدم راسخة في ميادين الدعوة والإصلاح، حيث قضى الشَّيخ رحمه الله زمنًا طويلاً بين الإمامة والخطابة والتدريس في مساجد وزارة الأوقاف المصرية، وفي آخر حياته حينما أوقف عن الخطابة، كانت له صفحة في مجلة اللواء الإسلامي، نسأل الله تعالى أن يرحمه، ويسكنه فسيح جناته من النبيين، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

فقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسله إلى العالمين، مبشرين ونذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وأنزل الكتب هدى ورحمة ونورا وشفاء، وموعظة للمتقين، فكان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فيما مضى يبعثون إلى أقوامهم خاصة، ويستحفظون كتبهم؛ فلذلك اندثرت كتاباتهم، وحرفت وبدلت شرائعهم؛ لأنها أنزلت لأمة محدودة، في فترة معدودة.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[النساء:١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، **ثم أما بعد:**

فهذا كتاب "**استغفروا ربكم**"، وهو من أقوى وأفضل كتب الدُّعاء، والتوسُّل إلى الله سبحانه وتعالى، فبكثرة الدُّعاء؛ تكون الإجابة. **قال سبحانه:** {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً(١٠)يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً(١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً}[نوح:١٠-١١].

وقال سبحانه: { وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}[هود:٣].

يروى أنه لما نزل قول الله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً}[الزمر:٥٣]، قام رجل، فقال: والشرك يا نبي الله؟ فكره ذلك رسول الله ﷺ، وأنزل الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[النساء:٤٨]، فأخبر تعالى عن نفسه بأنه لا يغفر الذنب المعروف بالشرك والكفر، وأما سائر الذنوب كبيرها وصغيرها فتحت المشيئة إن شاء غفرها لمرتكبها فلم يعذبه بها، وإن شاء آخذه بها وعذبه، وأن من يشرك به تعالى فقد اختلق الكذب العظيم إذ عبد من لا يستحق العبادة، وأنه من لا حق له في التأليه فلذا هو قائل بالزور وعامل بالباطل، ومن هنا كان ذنبه عظيماً.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يقينا شر المعصية، ويقبضنا وإياكم على المحجة البيضاء، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا

في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا، رب آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم اغفر لنا هزلنا وجدنا، وخطأنا وعمدنا وكل ذلك عندنا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه،

كامل عويضه،،

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء الحمد:

الحمد لله رب العالمين.. يارب.. ارحم ضعفنا، وتولى أمرنا، وأحسن خلاصنا، وفك أسرنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقاك، اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، وارزقنا عند الموت شهادة، وارزقنا بعد الموت جنة ونعيما وملكا كبيرا، آمين، آمين.

ابن آدمَ! أطلب بطاعته رضاك، فإنه يُعطى السائلين رضاه، هو أول، هو آخر، هو ظاهر، هو باطن، ليس العيون تراه.

دعاء التحصن من الشِّرك:

قال تعالى: {كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا(٢٠) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً(٢١) لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً}[الإسراء: ٢٠-٢٣].

عن ميمونة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: ((بسم الله توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل، أو يُجهل علي)). [1]

عن قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها))[2].

إذن: فإياك أنْ تجعلَ معه إلهاً آخر، **وكرّر الحق سبحانه هذا النهي:** {وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ الله إلها آخَرَ} [الإسراء:٣٩]؛ لأنه قد يأتي على الناس وقتٌ يُحْسنون الظن بعقول بعض

---

[1] **حديث ميمونة:** أخرجه الطبرانى في الكبير (٢٤/٩ ، رقم ١١)، وفى الأوسط (٣/٣٤ ، رقم ٢٣٨٣). **قال الهيثمى** (١٠/١٢٩): فيه أبو بكر الهذلى، وهو ضعيف.

[2] **أنظر:** "كنز العمال"(١٤/٤٩٠، رقم ٣٩٤٠٠).

المفكـرين، فيأخـذون بـأقوالهم ويـسيرون علـى منـاهجهم، ويُفضّلونها علـى منهج الحق تبارك وتعالى، فيفتنون النـاس عن قضايا دينهم الحق إلى قضايا أخرى يُوهِمون الناس أنها أفضل مما جاء به الدين.

إذن: لا يكفي أن تؤمن أولاً، ولكن احذر أنْ يُزحزك أحد عن دينك فلا تجعل مع الله إلهاً آخر يفتنك عن دينك، **فتكون النتيجة:** {فتلقى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً}[الإسراء: ٣٩]، {مَلُوماً}: لأنك أتيتَ بما تُلاَم عليه، {مَّدْحُوراً}: أي: مطرود مُبْعَداً من رحمة الله، وهذا الجزاء في الآخرة.

أما الذي لا يؤمن بها، فلا بُدَّ لكي نستطيع العيش معه في الدنيا، أن يُذيقه الله بعض العذاب، ويُعجِّله له في الدنيا قبل عذاب الآخرة، **كما قال تعالى:** {فَمَنِ اتبع هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً}[طه: ١٢٣-١٢٤]، أي: في الدنيا.

وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى في قصة ذي القرنين: {حتى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشمس وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً}[الكهف:٨٦-٨٧].

فقوله: {فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ}[الكهف:٨٧]؛ لأنه مُمكَّن في الأرض، ومَنُوط به حِفْظ ميزان الحياة واستقامتها، حتى عند الذين لا يُؤمنون بالآخرة، وإلا فلو أخَّرْنا العذاب عن هؤلاء إلى الآخرة لأفسدوا على الناس حياتهم، وعاثوا في الأرض يُعربِدون ويُفسِدون.

ولذلك لا يموت ظلوم في الكون حتى ينتقمَ الله منه، ويذيقه عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة، ولا بُدَّ أنْ يراه المظلوم ليعلم أن عاقبة الظلم وخيمة، في حين أن المظلوم في رعاية الله وتأييده ينصره بما يشاء من نعمه وفضله، حتى أن الظالم لو

علم بما أعدّه الله للمظلوم لَضَنَّ عليه بالظلم". **قال القرطبي:** "**قوله تعالى:** {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}[الأعراف:١٤٥]، يريد التوراة.

وروي في الخبر: ((أنه قبض عليه جبريل عليه السلام بجناحه فمر به في العلا حتى أدناه حتى سمع صريف القلم حين كتب الله له الألواح))(١).

وقال مجاهد: "كانت الألواح من زمردة خضراء".

وقال ابن جبير: "من ياقوتة حمراء".

وقال أبو العالية: "من زبرجد".

وقال الحسن: "من خشب؛ نزلت من السماء".

وقيل: من صخرة صماء، لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده ثم شقها بأصابعه؛ فأطاعته كالحديد لداود.

وقال مقاتل: "أي: كتبنا له في الألواح كنقش الخاتم".

---

(١) أنظر: "الجامع لأحكام القرآن"(٧ / ٢٨١).

نزول التوراة:

وقال ربيع بن أنس: "نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير".

وأضاف الكتابة إلى نفسه على جهة التشريف؛ إذ هي مكتوبة بأمره كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر. واستمد من نهر النور.

وقيل: هي كتابة أظهرها الله وخلقها في الألواح.

وأصل اللوح: لوح، بفتح اللام؛ **قال الله تعالى:** {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}[البروج: ٢١، ٢٢]. فكأن اللوح تلوح فيه المعاني.

ويروى أنها لوحان، وجاء بالجمع؛ لأن الاثنين جمع. **ويقال:** رجل عظيم الألواح إذا كان كبير عظم اليدين والرجلين.

قال ابن عباس: "وتكسرت الألواح حين ألقاها فرفعت إلا سدسها". **وقيل:** بقي سبعها ورفعت ستة أسباعها. فكان في الذي رفع تفصيل كل شيء، وفي الذي بقي الهدى والرحمة.

وقال عمرو بن دينار: "بلغني أن موسى بن عمران نبي الله ﷺ صام أربعين ليلة؛ فلما ألقى الألواح تكسرت فصام مثلها فردت إليه". ومعنى: {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} مما يحتاج إليه في دينه من الأحكام وتبيين الحلال والحرام؛ {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} في الكلام حذف، أي: فقلنا له: خذها بقوة؛ أي: بجد ونشاط.

وقيل: هو لفظ يذكر تفخيما ولا يراد به التعميم؛ تقول: دخلت السوق فاشتريت كل شيء. وعند فلان كل شيء. و: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ}[الأحقاف:٢٥]. {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}[النمل:٢٣].

وقوله تعالى: {مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ}، أي: لكل شيء أمروا به من الأحكام؛ فإنه لم يكن عندهم اجتهاد، وإنما خص بذلك أمة محمد ﷺ: {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} في الكلام حذف، أي: قلنا له: خذها بقوة، أي: بجد ونشاط نظيره: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}[البقرة: ٦٣]، {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}، أي: يعملوا

بالأوامر ويتركوا النواهي، ويتدبروا الأمثال والمواعظ. **نظيره:** {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}[الزمر: ٥٥]، **وقال:** {فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}[الزمر:١٨]. والعفو أحسن من الاقتصاص. والصبر أحسن من الانتصار.

وقيل: أحسنها الفرائض والنوافل، وأدونها المباح. {سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ}.

دار الفاسقين:

قال الكلبي: {دَارَ الْفَاسِقِينَ} ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود، والقرون التي أهلكوا.

وقيل: هي جهنم. عن الحسن ومجاهد. "أي: فلتكن منكم على ذكر، فاحذروا أن تكونوا منها.

وقيل: أراد بها مصر؛ أي: سأريكم ديار القبط ومساكن فرعون خالية عنهم". **وقال قتادة:** "المعنى سأريكم منازل الكفار التي سكنوها قبلكم من الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها؛

يعني الشأم. وهذان القولان يدل عليهما: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ}[الأعراف: ١٣٧]، {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ}[القصص:٥]".

وقيل: الدار الهلاك، وجمعه أدوار، وذلك أن الله تعالى لما أغرق فرعون أوحى إلى البحر أن اقذف بأجسادهم إلى الساحل، **قال:** ففعل؛ فنظر إليهم بنو إسرائيل فأراهم هلاك الفاسقين".

دعاء الاستغفار:

أسأل الله تبارك وتعالى أن يقينا شر المعصية، ويقبضنا وإياكم على المحجة البيضاء، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تجعل مصيبتنا

في ديننا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا، رب آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم اغفر لنا هزلنا وجدنا، وخطأنا وعمدنا وكل ذلك عندنا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضل الصدقة:

عن معاذ بن جبل، قال: ((كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه، ونحن نسير، فقال: ألا أدلك على أبواب الخير؟؟ الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا الآية: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً}[السجدة : ١٦])).[1] قوله: ((ألا أدلك على أبواب

---

[1] **حديث معاذ**: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٢١٣ ، ح / ٣٣٥٠).

الخير))، أي: الطرق الموصلة به، ((الصوم جنة)) بضم الجيم الترس، أي: مانع من النار أو من المعاصي بكسرة الشهوة وضعف القوة.

وقال في النهاية: الصوم جنة، **أي**: يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات والجنة الوقاية انتهى.

قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ}، أي: ترتفع وتنبو عن مواضع الاضطجاع وهو في موضع نصب على الحال، أي: متجافية جنوبهم، والمضاجع جمع مضجع وهي مواضع النوم، ويحتمل عن وقت الاضطجاع ولكنه مجاز.

والحقيقة أولى ومنه قول عبد الله بن رواحة ﷺ: ((وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع يبيت يجافي جنبه عن فراشه، إذا استثقلت بالمشركين المضاجع)).[١] **قال الزجاج والرماني**: التجافي التنحي إلى

---

[١] أنظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ١٠٠).

جهة فوق، وكذلك هو في الصفح عن المخطئ في سب ونحوه، **والجنوب جمع جنب وفيما تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأجله قولان:**

أحدهما: لذكر الله تعالى: إما في صلاة وإما في غير صلاة، قاله بن عباس والضحاك.

الثاني: للصلاة: **وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم لأجلها أربعة، أقوال:**

أحدها: التنفل بالليل قاله الجمهور من المفسرين، وعليه أكثر الناس، وهو الذي فيه المدح، وهو قول مجاهد والأوزاعي ومالك بن أنس والحسن بن أبي الحسن وأبي العالية وغيرهم، **ويدل عليه قوله تعالى:** {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[السجدة:١٧]؛ لأنهم جوزوا على ما أخفوا بما خفى والله أعلم. **عن القاسم بن محمد، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ:** ((إن الله يقبل

الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره ، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد ، **وتصديق ذلك في كتاب الله** ﷻ: { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[التوبة:١٠٤]، و{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}[البقرة:٢٧٦].

قوله: ((أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه))، كناية عن حسن قبولها؛ لأن الشيء المرضي يتلقى باليمين عادة.

وقوله: ((فيربيها لأحدكم))، **يعني:** يضعف أجرها.

قوله: ((كما يربي أحدكم)) تمثيل لزيادة التفهيم، **قوله:** ((مهره)) صغير الخيل، **وفي رواية:** ((فلوّه))، وخصه؛ لأنه يزيد زيادة بينة.

وقوله: ((حتى أن اللقمة لتصير مثل))، جبل ((أحد)) في العظم وهو مثل ضرب لكون أصغر صغير يصير أكبر كبير بالتربية.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلّوّه حتى تكون مثل الجبل)).[1]

قوله: ((ويربى الصدقات))، **يعني:** يضعف أجرها لربها وينميها، ألا ترى قوله ﷺ: ((ثم يربيها كما يربى أحدكم فلوه ، أو فصيله))، ولما كان الربا قد أخبر الله أنه يمحقه؛ لأنه حرام دلت الآية أن الصدقة التي تربو وتتقبل لا تكون إلا

---

[1] **حديث أبي هريرة:** أخرجه البخاري (٥١١/٢ ، ح / ١٣٤٤)، ومسلم (٧٠٢/٢ ، ح / ١٠١٤)، والنسائي في الكبرى (٤١٣/٤ ، ح / ٧٧٣٥)، وأحمد (٣٣١/٢ ، ح / ٨٣٦٣)، ومالك (٩٩٥/٢ ، ح / ١٨٠٦)، وابن حبان (١١٣/٨ ، ح / ٣٣١٩)، والبيهقي (١٧٦/٤ ، ح / ٧٥٣٥).

ومن غريب الحديث: "فلوه": الفلو: المهر الصغير.

من غير جنس الممحوق، وذلك الحلال، وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم، **بقوله:** ((ولا يقبل الله إلا الطيب)).

عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال سعد بن عبادة ﷺ: يا رسول الله إن أم سعد كانت تحب الصدقة، أفينفعها أن أتصدق عنها؟ **قال ﷺ:** ((نعم، وعليك بالماء)).[١]

ماء زمزم لما شرب له:

لما أراد الإمام عبد الله بن المبارك أن يشرب من ماء زمزم، توجه إلى الله تبارك وتعالى، **وقال:** ((اللهم إنَّ نبيك محمدًا ﷺ، **قال:** ((ماء زمزم لما شُرب له، فإن شربه لمرض شفاه الله، أو لجوع أشبعه الله، أو لحاجة قضاها الله))[٢].

---

[١] **حديث سعد بن عبادة:** أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (ح / ٨٠٦١).

[٢] **حديث جابر:** أخرجه أحمد (٣٥٧/٣ ، رقم ١٤٨٩٢)، وابن ماجه (١٠١٨/٢ رقم ٣٠٦٢)، **قال البوصيرى** (٢٠٩/٣): هذا إسناد ضعيف

الله، الله، يا بن المبارك، تشرب بنية أن يزيل الله عنك العطش يوم القيامة، ما أحسنك! وما أروعك! وما أجملك، وأنت بهذه الدعوة وضعت الحقيقة في سبيلها، ووضعت الأشياء في نطاقها، وسميتها بأسمائها.

قال مجاهد: إن شربته تريد الشفاء شفاك الله، وإن شربته تريد أن تقطع ظمأك قطعه الله، وإن شربته تريد أن يشبعك أشبعك الله، وهى هزمة جبريل، وسقيا الله إسماعيل.

وهي، أي: بئر زمزم، "هزمة جبريل"، بفتح الهاء وسكون الزاي، أي: غمزته بعقب رجله، "وسقيا إسماعيل"، حين تركه إبراهيم مع أمه وهو طفل، والقصة مشهورة. **وقال وهب بن منبه:** تجدها فى كتاب الله. **يعنى:** زمزم شراب الأبرار، وطعام طعم، وشفاء من سقم، ولا تنزح ولا تذم، من شرب

لضعف عبد الله بن المؤمل. والحكيم (٢/٢٢٢)، والبيهقى (١٤٨/٥ ، رقم ٩٤٤٢).

منها حتى يتضلع أحدثت له شفاء، وأخرجت منه داء. **عن يعقوب، عن أبيه، قال:** لما حج معاوية ﷺ حججنا معه ....وفيه ومن ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصفا، **فقال:** ((انزع لي منها دلواً يا غلام)). **قال:** فنزع له منها دلواً، فأتى به فشرب منه وصب على وجهه ورأسه وهو، **يقول:** ((زمزم شفاء هي لما شرب له)).[1]

وعن أم أيمن، قالت: ((ما رأيت رسول الله ﷺ شكى جوعا قط، ولا عطشا كان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربه، فربما عرضنا عليه الطعام، **فيقول:** لا أنا شبعان)).[2]

قال المناوي: صح أنها للجائع طعام، وللمريض شفاء من السقام، وقد فضل ماؤها على ماء الكوثر حيث غسل منها

---

[1] **أنظر:** "شرح كتاب الحج من بلوغ المرام".

[2] **أنظر:** "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، لبدر الدين العيني الحنفي.

القلب الشريف الأطهر. واشتهر عن الشافعي أنه شربه للرمي، فكان يصيب من كل عشرة تسعة، ولا يحصى كم شرب من الأئمة لأمورنا لو هابه، وبعضهم للعطش يوم القيامة، وأولى ما يشرب لتحقيق الإيمان والثبات عليه، وهو أفضل المياه الموجودة حتى الكوثر؛ لأنه غسل من الصدر الشريف، والنظر إليها والطهور منها يحط الخطايا، وما امتلئ جوف أحد من زمزم إلا ملأ علما وبرا.

قال ابن عباس: ينبغي أن يأخذ الدلو، ويستقبل القبلة، ويدعو الله، ثم يشرب ويتنفس ثلاث مرات، ويتضلع منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ، **يقول:** ((إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم))[1].

---

[1] **حديث ابن عباس:** أخرجه البخاري فى التاريخ الكبير (١/١٥٧)، وابن ماجه (٢/١٠١٧ ، رقم ٣٠٦١) قال البوصيرى (٣/٢٠٨): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والحاكم (١/٦٤٥ ، رقم ١٧٣٨)، **وقال:**

قال معمر عن الزهري: إن عبد المطلب لما انبط ماء زمزم بني عليها حوضا، فطفق هو وابنه الحارث ينزعان، فيملآن ذلك الحوض فيشرب فيه الحاج، فيكسره أناس من حسدة قريش بالليل، ويصلحه عبد المطلب حين يصبح.

فلما أكثروا إفساده دعا عبد المطلب ربه، فأرى فى المنام، **فقيل له: قل:** اللهم إني لا أحلها لمغتسل، ولكن هي لشارب حل وبل، ثم كفيتهم. فقام فنادي بالذي أرى فلم يكن أحد يفسد

صحيح على شرط الشيخين. والطبرانى (١١/١٢٤ ، رقم ١١٢٤٦)، وفى (١٠/٣١٤ ، رقم ١٠٧٦٣)، والبيهقى (٥/١٤٧ ، رقم ٩٤٣٨). والدار قطنى (٢/٢٨٨) ، وفيه قصة. **وقال المناوى (١/٦١): قال الحافظ:** حديث حسن. والحاصل أن بعض أسانيده رجاله ثقات، لكن فيه انقطاع، وهذا الانقطاع بين عثمان بن الأسود وابن عباس عند الحاكم فقط، أما عند الباقين فالحديث متصل. **ومن غريب الحديث: "لا يتضلعون":** لا يكثرون الشرب من ماء زمزم حتى تتمدد جنوبهم وضلوعهم كراهة له.

عليه حوضه بالليل إلا رمى بداء فى جسده، ثم تركوا له حوضه وسقايته، **قال سفيان:** حل بل محل.

وروى الدار قطني: ((أن عبد الله كان إذا شرب منها، **قال:** أللهم إني أسأك علما نافعا، ورزقا واسعا، وشفاء من كل داء)).[1]

وروى عن جابر في ذكر حجته ﷺ: ((ثم عاد إلى الحجر، ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها وصب على رأسه، ثم رجع فاستلم الركن)).[2]

بئر زمزم: هو اسم للبئر التي في المسجد الحرام، وماء زمزم خير ماء على الأرض، لما روى الطبراني عن عبد الله بن

---

[1] **أنظر:** "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، لبدر الدين العيني الحنفي.

[2] **أنظر:** "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، لبدر الدين العيني الحنفي.

عباس رضي الله عنهما، **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: ((خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء من السقم، وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي برهوت بقية حضر موت، كرجل الجراد من الهوام، تصبح تتدفق، وتمسي لا بلال فيها))[1].

بئر برهوت:

وبرهوت: بفتح الباء الموحدة والراء المهملة وضم الهاء وآخره تاء مثناة، بئر عتيقة بحضر موت لا يستطاع النزول إلى قعرها، ويقال: "برهوت"، بضم الباء وسكون الراء.

وفي حديث ابن عباس عند البخاري: ((أن رسول الله ﷺ، جاء إلى السقاية فاستسقى، **فقال العباس**: يا فضل اذهب إلى

---

[1] **أخرجه** الطبراني (١١/٩٨ ، رقم ١١١٦٧)، **وقال الهيثمي (٣/٢٨٦)**: رجاله ثقات وصححه ابن حبان. والطبراني في الأوسط (٨/١١٢ ، رقم ٨١٢٩).

أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها. **فقال:** ((اسقني)). **قال:** يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه. **قال:** ((اسقني)). فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها، **فقال:** ((اعملوا فإنكم على عمل صالح)). [1] **ثم قال:** ((لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه)). يعني عاتقه، وأشار إلى عاتقه.

قال النووي: معناه لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم؛ لكثرة فضيلة هذا الاستقاء.

---

[1] **أخرجه أحمد** (٢٤٨/١)، والبخار (٥٨٩/٢ ، رقم ١٥٥٤)، وابن خزيمة (٣٠٦/٤ ، رقم ٢٩٤٦)، وابن حبان (٢١٤/١٢ ، رقم ٥٣٩٢) ، والحاكم (٦٤٨/١ ، رقم ١٧٤٧) **وقال:** صحيح على شرط البخاري. والبيهقى (١٤٧/٥ ، رقم ٩٤٣٥)، والطبرانى (٣٤٥/١١ ، رقم ١١٩٦٣).

ولنزلت لاستقاء الماء، فهذه ولاية من النبي ﷺ للعباس وآله السقاية، وإنما خشي أن تتخذها الملوك سنة يغلبون عليها من وليها من ذرية العباس.

وقيل: قال ذلك شفقة على أمته من الحرج والمشقة، والأول أظهر، وفيه بقاء هذه التكرمة لبني العباس كبقاء الحجابة لبني شيبة "فناولوه"، أي: أعطوه، "فشرب منه"، أي: من الدلو أو من الماء.

روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر النبي ﷺ أنه كان يحمله، وأخرجه الترمذي، **وقال:** حديث حسن غريب.[1]

قال الشوكاني: فيه دليل على استجاب حمل ماء زمزم إلى المواطن الخارجة عن مكة. فماء زمزم طعام الجائع، وشراب الظامئ، وشفاء السقيم، وهذا مع إخلاص النية لله تعالى،

---

[1] **حديث ابن عباس:** أخرجه الترمذي (٣/٢٩٥، رقم ٩٦٣).

والصدق في ذلك، لما حصل لأبي ذر عندما أقام شهرا بمكة لا قوت له إلا ماء زمزم.

شباعة:

وكانوا قديما يسمون زمزم في الجاهلية "شباعة"؛ لأنها تروي وتشبع وتغني عن غيرها، ودخل بن المبارك زمزم، **فقال:** اللهم إن بن المؤمل حدثني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، **قال:** ((ماء زمزم لما شرب له))، اللهم فإني أشربه لعطش يوم القيامة.[1]

شراب الأبرار:

وسماه بن عباس شراب الأبرار، **وقال بن القيم رحمه الله:** وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرأت بإذن الله.

---

[1] أنظر: "المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين"، **جمع وإعداد، الباحث في القرآن والسنة:** علي بن نايف الشحود.

ما جاء في زمزم:

عن أبي ذر، قال: قال عليه السلام: ((فرج سقفي، وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج إلى السماء الدنيا، **فقال جبريل لخازن السماء الدنيا:** افتح، **قال:** من هذا؟ **قال:** جبريل)).[١]

قال وهب بن منبه: تجدها في كتاب الله.

يعني: زمزم شراب الأبرار، وطعام طعم، وشفاء من سقم، ولا تنزح ولا تذم، من شرب منها حتى يتضلع أحدثت له شفاء وأخرجت منه داء.

قال معمر عن الزهري: إن عبد المطلب لما انبط ماء زمزم بني عليها حوضا، فطفق هو وابنه الحارث ينزعان، فيملآن ذلك الحوض فيشرب فيه الحاج، فيكسره أناس من حسدة قريش بالليل، ويصلحه عبد المطلب

---

[١] **حديث أبي ذر:** أخرجه البخاري (٢/٥٨٩، رقم ١٥٥٥).

حين يصبح، فلما أكثروا إفساده دعا عبد المطلب ربه، فأرى في المنام فقيل له: قل: اللهم إني لا أحلها لمغتسل، ولكن هي لشارب حل وبل، ثم كفيتهم.

فقام فنادي بالذي أرى فلم يكن أحد يفسد عليه حوضه بالليل إلا رمى بداء في جسده، ثم تركوا له حوضه وسقايته، قال سفيان: حل بل محل.

فضل الدعاء والاستغفار:

عن علي بن عبد الله الأزدي البارقي، أنّ ابن عمر علمهم أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى السفر كبّر ثلاثاً ثم، قال: ((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطو عنّا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر

وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد، **وإذا رجع قالهن وزاد فيهن:** آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون)).[1]

قوله: ((سبحان الذي سخر لنا هذا))، أي: إنه مقدس عما لا يليق به منتزه عن سائر سمات الحوادث من الركوب والاستقرار على شيء.

قوله: ((وما كنا له)) أي: لتسخيره المدلول عليه بقوله سخر لنا هذا أوله: أي: المشار إليه. وقوله: ((مقرنين)) أي: مطيقين. وقوله: ((وإنا إلى ربنا لمنقلبون))، ذكر لتنبيه

---

[1] **حديث علي بن عبد الله:** أخرجه مسلم في (الحج ، ح / ١٣٤٢)، وأبو داود (ح / ٢٥٩٩)، وأحمد (١ / ٩٧ ، ١١٥، ٢ / ١٤٤ ، ١٥٠).

غريبه: قول النبي ﷺ: ((مقرنين))، أي: مطيقين تسخيره. **ولمنقلبون:** **الانقلاب:** الانصراف. **والوعثاء:** الشدة والمشقة، **والكآبة:** تغير النفس من شدة الهم والحزن. **وآيبون:** أي: راجعون.

الغافل للموت الذي قد ينشأ عن الركوب من تعثر الدابة وسقوطه عنها، فيحمله ذلك على الاستكانة للّه سبحانه والتوبة عن سائر المخالفات.

قوله: ((اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا))، **أي:** بخصوصه.

وقوله: ((البر))، بكسر الموحدة، **أي:** الخير والفضل، **أو عمل الطاعة وعليه فعطف قوله:** ((والتقوى)) من عطف العام على الخاص إن أريد بها الكف عن المخالفة وفعل الطاعة، وإن أريد بها الكفّ عن المعصية فهو من عطف المغاير وسؤال ذلك فيه؛ لأن السفر مظنة ترك البرّ والتقوى إلا بتأييد من اللّه سبحانه.

وقوله: ((ومن العمل ما ترضى))، **أي:** ما تحبه وتقبله والعائد محذوف.

وقوله: ((اللهم هون علينا سفرنا))، **أي:** مشقته أو المشقة فيه **ووصفه بقوله:** ((هذا))، لما تقدم.

وقوله: ((واطو)) بوصل الهمزة: أي: أزل أو ادفع، وقوله: ((عنا بعده))، أي: حقيقة أو حكما، وقوله: ((اللهم أنت الصاحب))، أي: الملازم، وأراد بذلك مصاحبة اللّه إياه بالعناية والحفظ من الحوادث والنوازل في السفر.

قال الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي: إطلاق الصاحب على اللّه تعالى بقيد ((في السفر)) جائز لا غير مقيد به؛ لأن أسماءه تعالى توقيفية، وكذا كل ما ورد مقيداً، **كقوله:** ((والخليفة))، أي: المعتمد عليه والمفوض إليه حضوراً وغيبة **قوله:** ((في الأهل)) ولا يطلق عليه كل من الصاحب والخليفة من غير قيد اه ملخصاً.

قال التوربشتي: الخليفة هو الذي ينوب عن المستخلف عنه، **والمعنى:** أنت الذي أرجوه وأعتمد عليه في غيبتي عن أهلي أن يلم شعثهم ويداوي سقيمهم ويحفظ عليهم دينهم وأمانتهم. وقوله: ((اللهم إني أعوذ))، أي: اعتصم ((بك من وعثاء

السفر وكآبة المنظر)) بفتح الميم والظاء. **قيل**: المراد الاستعاذة من كل منظر يعقب النظر إليه الكآبة فهو من قبيل إضافة المسبب إلى السبب.

وقوله: ((وسوء المنقلب)) بصيغة المفعول مصدر ميمي: أي: الانقلاب من السفر والعود إلى الوطن بمعنى استعاذ من أن يعود لوطنه فيرى ما يسوؤه .

وقوله: ((في المال والأهل))، المراد بالأهل أهل البيت من الزوجة والخدم والحشم.

قال ميرك: استعاذ من أن ينقلب إلى وطنه فيلقي ما يكتئب به من سوء أصابه في سفره كأن يرجع غير مقضي الحوائج، أو يصيب ماله آفة، أو كأن يقدم أهله فيجدهم مرضى أو يفقد بعضهم، **قال في "الحرز"**: أو يرى بعضهم على المعصية. **وقوله**: ((وإذا رجع))، أي: لابس الرجوع بالشروع، **وقوله**: ((آئبون)) بكسر الهمزة بعد الألف: أي: راجعون وهي

خبـر لمحـذوف: أي: نحـن معـشر الرفقـاء آئبـون. وقولـه: ((تـائبون)) أي: من المعاصـي، والأولـى أن يقال تـائبون عن الغفلة فإن الأوَّاب صفة الأنبياء.

ومنـه قولـه تعـالى: { إِنَّـهُ أَوَّابٌ }[ص:٤٤]، وصفة المؤمنين ومنه قوله تعالى: { إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا }[الإسراء:٢٥].

وقوله: ((عابدون لربنا حامدون)) الظرف متعلق بما قبله من العوامل.

يحتمل أن يكون متعلقاً أيضاً بما بعده وليس هو حينئذ من بـاب التنـازع وإن وهم فيـه صـاحب الحـرز؛ لأن شـرط التنـازع سبق العوامـل المعمـول، نعـم هـو مـن بـاب التنـازع بـالنظر للعوامل قبله.

الدعاء بغفران الذنوب:

وعن أبي هريرة ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ، كان يقول في سجوده: (اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته

وسره)).[1] قوله: ((اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله)) أي: صغيره وكبيره. ويقال: ماله دق ولا جل. وقوله: ((دقه وجله)) إلى آخره تفصيل بعد إجمال؛ لأنه لما قال: ((اغفر لي ذنبي كله)) فقد تناول جميع ذنوبه مجملاً، ثم فصله بقوله: كذا وكذا، وفائدته أن التفصيل بعد الإجمال أوقع وآكد. وانتصاب ((دقه))، على أنه بدل من قوله: ((ذنبي))، و((جله)) إلى آخره عطف عليه.

الدعاء بالنصر والمساعدة:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: ((اللهم أعني ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ، اللهم اجعلني شكاراً، لك

---

[1] **حديث أبي هريرة:** أخرجه مسلم في (الصلاة ، ح / ٣٥٠)، والبيهقي (٢ / ١١٠)، وابن خزيمة (٦٧٢).

ذكاراً ، لك رهاباً إليك مطواعاً، إليك مخبتاً أوَّاهاً منيباً، رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبِّت حجتي، واهد قلبي، وسدِّد لساني، واسلل سخيمة قلبي)).[1]

قوله: ((رب أعني ولا تعن علي))، **يعني:** بأن يعينه ويوفقه، وألا يعين عليه أحداً يلحق به الضرر. **قوله:** ((وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي))، **يعني:** أن يكون المكر من الله له ولا يكون من الله عليه. **قوله :** ((اللهم اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطواعاً، إليك مخبتاً أو منيباً)). هذه الألفاظ فيها حذف واو العطف،

---

[1] **حديث ابن عباس:** أخرجه أحمد (١ / ٢٢٧)، وأبو داود في (الوتر ، باب " ٢٥ ")، والترمذي في (الدعاء ، باب " ١٠٢ ")، وابن ماجة في (الدعاء ، باب " ٢ ") .

غريبه: قول النبي ﷺ: ((الرهب)): أي: الخوف. **والمخب:** أي الخاشع المطيع، **والأواه:** من التأوه وهو التوجع. **والمنيب:** التائب. **والحوبة:** الإثم والذنب. **والسخيمة:** بفتح السين المهملة وكسر الخاء المعجمة.

والأصل أن يقول: لك كذا، ولك كذا، ولك كذا، وحذف واو العطف وارد في اللغة العربية وهذا منه، ومنه قول الله عز وجل في أول سورة الغاشية: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(٢)عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً(٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ(٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ(٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ}[الغاشية:٢-٨]، **يعني:** ووجوه، فحذفت واو العطف. **إذاً:** حذف واو العطف سائغ وقد جاء في القرآن والسنة. **قوله:** ((لك راهباً))، **يعني:** الرهبة تكون من الله؛ لأنها مقابل الرغبة، كما في قوله تعالى: {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}[الأنبياء:٩٠] **يعني:** خوفاً ورجاءً. **قوله:** ((لك مطواعاً)) **يعني:** مطيعاً، ومطواع صيغة مبالغة من الطاعة. **وقوله:** ((إليك مخبتاً أو منيبا))، الإخبات هو الخشية والذل، والإنابة هي الرجوع. **قوله:** ((واغسل حوبتي)): الحوبة الزلة والخطيئة، والحوب: الإثم، وكذلك الحوب.

وفي الحديث: ((أن رجلا استأذن في الجهاد، فقال: ألك حوبة؟)) يعني: ما تأثم به إذا ضيعته، والخوبة، بالخاء المعجمة: الفقر، يقال: خاب يخوب خوبا: إذا افتقر، وجاء في الحديث: ((نعوذ بالله من الحوبة))، والسخيمة: الضغينة.

قوله: ((وأجب دعوتي وثبت حجتي)).

يعني: يكون كلامه مستقيماً، وفي الآخرة كونه يسدد ويوفق عند السؤال للجواب بالصواب. قوله: ((واسلل سخيمة قلبي))، يعني: أخرج ما فيه من الحقد والضغن، والأشياء التي تكون في القلوب مما تعتريه وهي مذمومة وغير محمودة.

الاستعاذة من الجوارح:

وعن شتير بن شكل بن حميد العبسي، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله علمني دعاء، قال: ((قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر

قلبي، ومن شر مني)).[1] قوله: ((من شر لساني))، أي: نطقي فإن أكثر الخطايا منه.

وقوله: ((ومن شر قلبي)) يعني نفسي والنفس مجمع الشهوات والمفاسد.

وقوله: ((ومن شر مني))، أي: من شر شدّة الغلمة وسطوة الشبق إلى الجماع الذي إذا أفرط قد يوقع في الزنا وخص المذكورات؛ لأنها أصل كل شر.

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: ((اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأوحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، **فقال:** لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به

---

[1] **حديث حميد:** أخرجه أبو داود (ح / ١٥٥٦)، والترمذي في (ح / ٣٤٩٢)، وأحمد (٣ / ٤٢٩)، والحاكم (١ / ٥٣٢) وصححه. ووافقه الذهبي.

أخطـي، وإذا دُعـي بـه أجـاب)).[1] اللهـم صـلى علـى محمـد وعلـى آلـه، وصـحبه، الكـرام الطيبين الطـاهرين، وسـلم تـسليما كثيرا.

الدعاء بالاسم الأعظم:

عن أنس بن مالك ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي ثم دعا الله: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا لجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: ((لقد دعا الله باسمه الأعظم

---

[1] **حديث عبد الله بن بريدة:** أخرجه أحمد (٣ / ١٥٨)، وابن ماجة (ح / ٣٨٥٨)، والنسائي (٣ / ٥٢).
قال الحافظ أبو الحسن المقدسي: إسناده لا مطعن فيه، ولم يرد في هذا الباب حديث أجود إسناداً منه. **وقال الحافظ:** هو أرجح من حيث السند على جميع ما ورد في ذلك .

الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)).[1] وعن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ، **قال:** اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [البقرة:١٦٣] وفاتحة آل عمران: { اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}.[2] روي أبو أمامة يرفعه: ((أن اسم الله الأعظم

---

[1] **حديث أنس:** أخرجه احمد (٣ / ١٥٨)، وابن ماجة (ح / ٣٨٥٨)، والنسائي (٣ / ٥٢)، ومشكل الآثار (١ / ٦٢). وصححه ابن حبان والحاكم، وفي رواية: ((لا إله إلا أنت يا حنان يا منان ، وفي آخره : ((أسألك الجنة وأعوذ بك من النار)) هكذا عند الحاكم مصححاً على شرط

غريبه: قول النبي ﷺ: ((المنان))، أي: المنعم المعطي، وبديع السماوات والأرض، أي: خالقهما على غير مثال سابق.

[2] **حديث أسماء:** أخرجه أبو داود (ح / ١٤٩٦)، والترمذي (ح / ٣٤٧٨)، وابن ماجة (ح / ٣٨٥٥)، والمشكاة (٢٢٩١)، والحديث صحيح.

فـي سـور ثـلاث : البقـرة ، وآل عمـران ، وطــه))، فنظـروا فوجدوا فيها آية الكرسي، وفي آل عمران: { الم(١) اللَّهُ لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ }، وفـي طـه : {وَعَنَـتِ الْوُجُـوهُ لِلْحَـيِّ الْقَيُّـومِ}[طـه: ١١]؛ لأن هـذه الآيـات فيهـا اسـم الله فلـم يكـن مخالفا لما رويناه بحمد الله، والذي في طـه قد يجوز أن يكون الحـي القيـوم هـو الاسـم الأعظـم، **عـن ابـن عبـاس:** {وَعَنَـتِ الْوُجُوهُ لِلْحَـيِّ الْقَيُّومِ}، **قـال:** الركـوع والسجود؛ ومعنـى: {عَنَتِ} اللغة القهر والغلبة؛ ومنـه فتحت البلاد عنوة، أي: غلبة؛ **قـال الشـاعر:**

"فما أخذوها عنوة عن مودة...ولكن ضرب المشرفي استقالها"

وقيـل: هـو مـن العنـاء بمعنـى التعـب ؛ وكنـى عـن النـاس بـالوجوه؛ لأن أثـار الـذل إنمـا تتبـين فـي الوجـه. {لِلْحَـيِّ الْقَيُّومِ}

قلت: وفي تعيين اسم الله الأعظم عشرون قولاً سردها السيوطي بأدلتها في رسالة: ((الدر المنظم في الاسم الأعظم)).

وفي القيوم ثلاث تأويلات؛ **أحدهما**: أنه القائم بتدبير الخلق. **الثاني**: أنه القائم على كل نفس بما كسبت. **الثالث**: أنه الدائم الذي لا يزول ولا يبيد. {وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما}[طه : ١١١]، أي: خسر من حمل شركاً. **قال الحسن**: "السر": ما أسر الرجل إلى غيره، "وأخفى" من ذلك: ما أسر من نفسه. وعن ابن عباس، **وسعيد بن جبير**: "السر" ما تسر في **نفسك "وأخفى" من السر**: ما يلقيه الله عز وجل في قلبك من بعد، ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك، لأنك تعلم ما تسر به اليوم ولا تعلم ما تسر به غدا، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسر به غداً. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: "السر": ما أسر ابن آدم في نفسه، "وأخفى" ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعلمه.

وقال مجاهد: "السر" العمل الذي تسرون من الناس، "وأخفى": الوسوسة. **وقيل:** "السر": هو العزيمة ، "وأخفى": ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه.

وقال زيد بن أسلم: "يعلم السر وأخفى": **أي:** يعلم أسرار العباد، وأخفى سره من عباده، فلا يعلمه أحد. ثم وحد نفسه، **فقال:** { اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}. ويحتمل أن **يكون اسم الله فيها في قوله:** {يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى(٧) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى}[طه: ٧ – ٨]، فيرجع ما في طه إلى ما في البقرة وآل عمران أنه الله ﷻ.

وعن أسماء سمعت رسول الله ﷺ، **يقول:** ((أن في هاتين **الآيتين اسم الله الأعظم:** وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، والم الله لا إله إلا هو الحي القيوم))[١]، فكان في هذا الحديث بيان موضع اسم الله من سورة البقرة

---

[١] أنظر: شرح السنة (٩ / ٣٩).

ومن سورة آل عمران، فليس في إحداهما ذكر الحي القيوم، وفيهما جميعا الله ﷻ، فكان في ذلك ما يجب أن يقل أن الذي في سورة طه هو ذلك أيضا، وكان فيه موافقة لمذهب أبي حنيفة؛ لأن قولهم اللهم أصله يا الله فحذفت ياء وزيدت الميم في قو ضعفي. وعن عبد الرحمن بن عبد القاري، **قال:** سمعت عمر بن الخطاب ﷺ، **يقول:** كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوماً فمكثنا عنده ساعة فسرّي عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه، وقال: ((اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنّا، ثم قال ﷺ: أنزلت عليَّ عشرة آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}[المؤمنون: ١]، حتى ختم عشر آيات.[١]

---

[١] **حديث عبد الرحمن:** أخرجه أبو داود (ح / ١٤٩٦)، والترمذي (ح / ٣٤٧٨)، وابن ماجة (ح / ٣٨٥٥)، والمشكاة (٢٢٩١)،

قولـه: ((اللهم زدنا)) أمر من الزيادة، أي: من الخير والترقي أو كثرنا، **وقوله**: ((ولا تنقصنا)) بفتح حرف المضارعة وضم القاف مـن نقـص المتعـدى، أي: لا تـنقص خيرنـا ومرتبتنـا وعددنا وعددنا. **قال القاضي والطيبي**: عطفت هذه النواهي علـى الأوامـر للمبالغـة والتأكيـد وحـذف ثـواني المفعـولات فـي بعـض الألفـاظ للتعميم والمبالغـة كقولـك فـلان يعطـي ويمنـع، **وقولـه**: ((وأكرمنـا)) بقضـاء مآربنـا فـي الدنيا ورفـع منازلنـا فـي العقبى.

وقولـه: ((ولا تـهنـا)) بـضم تـاء وكـسرها وتـشديد نـون علـى أنـه نـهى من الإهانة وأصله ولا تـهوننا، نقلت كسرة الواو إلـى الهـاء فالتقـت سـاكنة مـع النـون الأولـى الـساكنة فحـذفت وأدغمـت

والحديث صحيح.

قلت: وفي تعيين اسم الله الأعظم عشرون قولاً سردها السيوطي بأدلتها في رسالة: ((الدر المنظم في الاسم الأعظم)).

النون الأولى في الثانية، أي: لا تذلنا، **وقوله**: ((وأعطنا)) من الإعطاء. **وقوله**: ((ولا تحرمنا))، بفتح التاء وكسر الراء. وفي **القاموس**: حرمه وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، **ثم قال**: أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}[المؤمنون:١]، حتى ختم عشر آيات.

الاستعاذة من قلب لا يخشع:

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، **قال**: كان النبي ﷺ، يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع)).[١]

---

[١] **حديث عبد الله**: أخرجه الترمذي (ح / ٣٤٨٢)، والنسائي في (الاستعاذة ، باب " ١٣ ")، وأحمد (٤ / ٣٧١ ، ٣٨١) .

قوله: ((اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع))، لذكرك ولا لسماع كلامك وهو القلب القاسي.

وقوله: ((ومن دعاء لا يسمع))، أي: لا يستجاب ولا يعتد به فكأنه غير مسموع، وقوله: ((ومن نفس لا تشبع))، أي: من جمع المال أشرا وبطرا أو من كثرة الأكل الجالبة لكثرة الأبخرة الموجبة لكثرة النوم المؤدية إلى فقر الدنيا والآخرة، وقوله: ((ومن علم لا ينفع))، أي: لا يعمل به أو غير شرعي كعلوم الأوائل.

وقوله: ((أعوذ بك من هؤلاء الأربع))، فإنَّ ذلك كله وبال وضلال ونبه بإعادة الاستعاذة على مزيد التحذير من المذكورات.

قلت: حديث جابر رواه ابن ماجة بنحوه مختصراً ، وحديث ابن مسعود رواه الحاكم بإسناد ضعيف ، وعن جرير عند الطبراني بإسناد صحيح ، وعن أنس عند النسائي .

قال الطيبي: اعلم أن في كل من القرآئن الأربع ما يشعر بأن وجوده مبني على غايته، وأن الغرض منه تلك الغاية، وذلك أن تحصيل العلوم إنما هو للانتفاع بها، فإذا لم ينتفع به لم يخلص منه كفافا بل يكون وبالا؛ ولذلك استعاذ.

وأنَّ القلب إنما خلق؛ لأن يتخشع لبارئه وينشرح لذلك الصدر ويقذف النور فيه، فإذا لم يكن كذلك كان قاسيا فيجب أن يستعاذ منه، قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ}[الزمر: ٢٢]، وأن النفس يعتد بها إذا تجافت عن دار الغرور وأنابت إلى دار الخلود، وهي إذا كانت منهومة لا تشبع حريصة على الدنيا كانت أعدى عدو المرء فأولى الشيء الذي يستعاذ منه هي، أي: النفس وعدم استجابة الدعاء دليل على أن الداعي لم ينتفع بعلمه وعمله ولم يخشع قلبه ولم تشبع نفسه انتهى.

وقوله: { فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ }، **قال المبرد:** يقال قسا القلب إذا صلب، وكذلك عتا وعسا مقاربة لها. وقلب قاس أي صلب لا يرق ولا يلين. والمراد بمن شرح الله صدره ها هنا فيما ذكر المفسرون علي وحمزة رضي الله عنهما.

وحكى النقاش أنه عمر بن الخطاب ﷺ.

وقال مقاتل: عمار بن ياسر.

وعنه أيضا والكلبي: رسول الله ﷺ. والآية عامة فيمن شرح الله صدوره بخلق الإيمان فيه. وروى مرة عن ابن مسعود، **قال: قلنا يا رسول الله قوله تعالى:** { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ}[الزمر:٢٢]، كيف انشرح صدره؟ **قال:** ((إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح))، **قلنا:** يا رسول الله وما علامة ذلك؟.

قال: ((الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله)).[1] فذكر ﷺ خصالا ثلاثة، ولا شك أن من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الإيمان، فإن الإنابة إنما هي أعمال البر؛ لأن دار الخلود إنما وضعت جزاء لأعمال البر، ألا ترى كيف ذكره الله في مواضع في تنزيله، ثم قال بعقب ذلك: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، فالجنة جزاء الأعمال؛ فإذا انكمش العبد في أعمال البر فهو إنابته إلى دار الخلود، وإذا خمد حرصه عن الدنيا، ولها عن طلبها، وأقبل على ما يغنيه منها فاكتفى به وقنع، فقد تجافى عن دار الغرور. وإذا أحكم أموره بالتقوى فكان ناظرا في كل أمر، واقفا متأدبا متثبتا حذرا يتورع عما يريبه إلى ما لا يريبه، فقد استعد للموت.

[1] أنظر: الجامع في أحكام القرآن الكريم (١٥ / ٢٤٧).

فهذه علامتهم في الظاهر. وإنما صار هكذا لرؤية الموت، ورؤية صرف الآخرة عن الدنيا، ورؤية الدنيا أنها دار الغرور، وإنما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي ولج القلب.
وقوله: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ}[الزمر:٢٢].
قيل: المراد أبو لهب وولده؛ **ومعنى:** {مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ} أن قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره.
وقيل: إن {مِنْ} بمعنى عن، والمعنى قست عن قبول ذكر الله. وهذا اختيار الطبري.

أطلب الحوائج من السمحاء:

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ، قال: ((قال الله تعالى: اطلبوا الحوائج من السمحاء، فإني جعلت فيهم رحمتي، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي)).[١] **وقال مالك بن دينار:** ما ضرب عبد بعقوبة

---

[١] أنظر: الجامع في أحكام القرآن الكريم (١٥ / ٢٤٨) .

أعظم من قسوة قلب ، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم.

الاستعاذة من النفس والشيطان:

وعن أبي راشد الحبرانيّ قال: أتيت عبد الله بنِ عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما.

فقلت له: حدثنا مما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فألقى إليَّ صحيفة، **فقال:**

هذا ما كتب لي رسول الله ﷺ، **فنظرت فإذا فيها:** إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

قال: يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت، **قال : يا أبا بكر قل:**

((اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت، رب كل شئ ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره

إلى مسلم)) .[1] تضمن الاستعاذة من الشر وأسبابه وغايته فإن الشر كله إما يصدر من النفس أو من الشيطان، وغايته أما أن يعود على العامل أو أخيه المسلم، فتضمن الحديث مصدري الشر الذي يصدر عنهما وغايته.

قال ابن فلاح: أجاز المبرد وصف اللهم قياسا على وصفه لو كانت معه ياء، فكذا مع عوضها حملا عليه، ومنعه سيبويه لبعده من التركيب عن التمكن المقتضي للوصف مع ضعف وصف المناوي ويحمل مثله على البدل.

وقال الرضي: لا يوصف اللهم عند سيبويه كما لا يوصف أخواته.

أي: الأسماء المختصة بالنداء، وأجاز المبرد وصفه.

---

[1] حديث أبي راشد: أخرجه أحمد (١ / ٩ ، ١٤ ، ٤١٢ ، ٢ / ١٧١ ، ١٩٦)، والترمذي (ح / ٣٥٢٩)، وأبو داود (ح / ٥٠٨٣)، والحديث صحيح.

لأنه بمنزلة يا ألله، واستدل بنحو اللهم فاطر السماوات والأرض.وهو عند سيبويه على النداء المستأنف، ولا أرى في الأسماء المختصة بالنداء مانعا في الوصف بل السماع مفقود فيها. **وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ، قال:** ((إذا فزع أحدكم في النوم، **فليقل**)): أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنها لن تضره)).

قال: وكان عبد الله بن عمرو يلقِّنها من فزع من ولده، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقها)).[1]

---

[1] **حديث عمرو بن شعيب:** أخرجه الترمذي (ح / ٣٥٢٨)، والمشكاة (٢٤٧٧)، وابن أبي شيبة (٧ / ٤٢١).

غريبه: قوله: ((الصك)) أي: النميمة.

قلت : يؤخذ من هذا الحديث جواز كتابة التمائم بالمأثور من الأذكار الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ومن يطبق عليها حكم تمائم

عن محمد بن يحيى بن حبان، أن خالد بن الوليد كان يروع أو يروق من الليل، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمره: ((أن يتعوذ بكلمات الله التامة من غضب الله وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كان الوليد بن الوليد بن المغيرة يروع في منامه، **قال:** فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، **فقال النبي** ﷺ: ((إذا اضطجعت للنوم، **فقل:** بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده وشر همزات الشياطين وأن يحضرون))[1]، فقالها فذهب عنه ذلك ، فكان

الجاهلة المذمومة فهو جاهل يخاف عليه الكفر لتسويته بين كلام الله ورسوله ، وبين شرك الجاهلية .

[1] **حديث عمرو بن شعيب:** أخرجه أبو داود (١٢/٤ ، ح / ٣٨٩٣)، والترمذى (٥٤١/٥ ، ح / ٣٥٢٨) **وقال:** حسن غريب. وأحمد (١٨١/٢ ، ح /٦٦٩٦)، وابن أبى شيبة (٨٠/٦ ، ح / ٢٩٦٢١).

عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من بنيه ومن كان منهم صغيرا لا يقيمها كتبها وعلقها عليه. هكذا قال ابن إسحاق في هذا الحديث الوليد بن الوليد وهو أخو خالد بن الوليد وكان من فضلاء الصحابة أسلم قبل أخيه وقتل شهيدا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض السرايا.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: ((أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون))[١].

وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبها فعلقها عليه. وفي هذا الحديث دليل على أن كلام الله عز وجل غير مخلوق؛ لأنه لا يستعاذ بمخلوق وليس في هذا الحديث ما يحتاج إلى تفسير إلا قوله: ((وأن

---

[١] أنظر: الحديث السابق.

يحضرون)) فإن أهل المعاني، **قالوا**: معناه وأن تصيبوني بسوء. **وكذلك قال أهل التفسير في قول الله** ﷻ: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ(٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ}[المؤمنون:٩٧- ٩٨]، **الهمزات**: جمع همزة وهي المرة من فعل الهمز، **وهو في اللغة**: النخس والدفع، **وهمزات الشياطين**: نخساتهم لبني آدم ليحثوهم، ويحضوهم على المعاصي، **كما أوضحنا الكلام عليه في قوله تعالى**: { أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً}[مريم:٨٣]، **وكقوله تعالى**: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ(٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ}[الزخرف:٣٦-٣٧]. **والظاهر في قوله**: { وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ}، **أن المعنى**: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائنا ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، **كما قال تعالى**: { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}

[النحل:٩٨]، أو عند حضور الموت أو غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات. والعلم عند الله تعالى.

قوله: ((إذا فزع)) بكسر الزاي، أي: خاف ((في النوم))، أي: في حال النوم أو عند إرادته، ((أعوذ بكلمات الله التامة))، كذا في بعض النسخ بلفظ الإفراد والمراد به الجماعة، وهكذا وقع عند الترمذي، وأبي داود وكذا نقله في الأذكار، والحصن، وتحفة الذاكرين، ووقع في بعض نسخ المشكاة ((التامات)) بلفظ الجمع، وهكذا وقع عند الحاكم وكذا نقله في الترغيب، ومختصر السنن، والمراد من التامة الكاملة الشاملة الفاضلة وهي أسماءه وصفاته وآيات كتبه، ((وعقابه))، أي: عذابه ((وشر عباده)) من الظلم والمعصية ونحوهما وهو أخص من ((شر خلقه))، ((ومن همزات الشياطين))، جمع همزة وهي النخس والغمز وكل شيء دفعته فقد همزته، أي: نزغاتهم وخطراتهم ودساسهم وإلقائهم الفتنة

والعقائد الفاسدة في القلب وهو تخصيص بعد تعميم، ((وأن يحضرون)) بحذف الياء وإبقاء الكسرة دليلا عليها قاله القاري.

وقال الشوكاني: بكسر النون وأصله يحضرونني فحذفت النون الأولى لدخول الناصب عليها وحذفت الياء تخفيفا وبقيت نون الوقاية مكسورة لتدل على الياء المحذوفة، أي: ومن أن يحضروني في أموري كالصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك لأنهم إنما يحضرون بسوء ((فإنها))، أي: الهمزات ((لن تضروه))، أي: إذا دعا بهذا الدعاء وفيه دليل على أن الفزع إنما هو من الشيطان.

وأما تعليق الحرز والتمائم مما كان من رسوم الجاهلية فحرام بلا خلاف – انتهى. واختلف العلماء في تعليق التمائم التي فيها أسماء الله وصفاته وآيات القرآن والأدعية المأثورة قال **العلماء من أهل التوحيد:** اعلم أن العلماء من الصحابة

والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله تعالى وصفاته، **فقالت طائفة:** يجوز ذلك وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما روى عن عائشة، وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية وحملوا الحديث، يعني: حديث ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ، **يقول:** ((إن الرقى والتولة والتمائم شرك)).[1]

ومن المعلوم أن المراد من الرقى ها هنا هي التي فيها شرك، **وقالت طائفة:** لا يجوز ذلك، وبه قال ابن مسعود وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة ابن عامر وابن عكيم،

---

[1] **حديث ابن مسعود:** أخرجه أبو داود (٩/٤ ، ح / ٣٨٨٣)، وابن ماجه (١١٦٦/٢ ، ح / ٣٥٣٠)، وأحمد (٣٨١/١ ، ح /٣٦١٥)، والحاكم (٤٦٣/٤ ، ح / ٨٢٩٠) **وقال:** صحيح الإسناد على شرط الشيخين. والبيهقي (٣٥٠/٩ ، ح / ١٩٣٨٧)، وأبو يعلى (١٣٣/٩ ، ح / ٥٢٠٨).

وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون واحتجوا بهذا الحديث .

حوض الكوثر:

فما أشد العطش في هذا اليوم على العباد، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}[الحج:١-٢].

قال الشنقيطي: أمر جل وعلا في أول هذه السورة الكريمة: الناس بتقواه جل وعلا، بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وبين لهم أن زلزلة الساعة شيء عظيم، تذهل بسببه المراضع عن أولادها، وتضع بسببه الحوامل أحمالها، من شدة الهول والفزع، وأن الناس يرون فيه كأنهم سكارى من شدة الخوف،

وما هم بسكارى من شرب الخمر، ولكن عذابه شديد. **قال القرطبي:** أنزلت عليه هذا الآية وهو في سفر، **فقال:** ((أتدرون أي يوم ذلك؟))،

فقالوا: الله ورسوله أعلم؛ **قال:** ((**ذاك يوم يقول الله لآدم:** ابعث بعث النار، **قال:** يا رب! وما بعث النار؟

قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة. فأنشأ المسلمون يبكون؛ **فقال رسول الله ﷺ:** ((قاربوا وسددوا فإنه لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، **قال:** فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين. وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة، في ذراع الدابة، أو كالشامة في جنب البعير، **ثم قال:** إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبروا ؛ **ثم قال:** إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبروا؛ **ثم قال:** إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا)). **قال:** لا أدري قال الثلثين أم لا. **قال:** هذا

حديث حسن صحيح.[1] **قد روي من غير وجه الحسن عن عمران بن حصين، وفيه:** ((فيئس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة، فلما رأى رسول الله ﷺ، **قال:** اعملوا وأبشروا، فوالذي نفسي بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن مات من بني آدم وبني إبليس))، **قال:** فسري عن القوم بعض الذي يجدون؛ **فقال:** ((اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة)) قال: هذا حديث حسن صحيح.[2]

---

[1] أنظر: "الجامع لأحكام القرآن"(١٢/٢).

[2] **حديث عمران بن حصين:** أخرجه أحمد (٤٣٥/٤ ، رقم ١٩٩١٥)، والترمذي (٣٢٣/٥ ، رقم ٣١٦٩)، **وقال:** حسن صحيح. والطبراني (١٤٤/١٨ ، رقم ٣٠٦)، والحاكم (٦١١/٤ ، رقم ٨٦٩٥). ووافقه الذهبي. وأخرجه الطيالسي (ص ١١٢ رقم ٨٣٥)، والنسائي في الكبرى (٤١٠/٦ ، رقم ١١٣٤٠).

وفي صحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، **قال: يقول:** أخرج بعث النار، **قال:** وما بعث النار؟ **قال:** من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. **قالوا:** يا رسول الله! وأين ذاك الواحد؟ **قال:** أبشروا، فإنَّ منكم رجلا، ومن يأجوج ومأجوج ألف. والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء فئ جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود، أو كالرقم في ذراع الحمار)).[1]**قوله:** "أخرج"،

---

[1] **حديث أبي سعيد:** أخرجه أحمد (٣/٣٢ ، رقم ١١٣٠٢)، وعبد بن حميد (ص ٢٨٧ ، رقم ٩١٧)، والبخاري (٣/١٢٢١ ، رقم ٣١٧٠)،

بفتح الهمزة وكسر الراء، أي: أظهر وميز من بين أولادك بعث النار، أي: جمعا يستحقون البعث إليها، **قال:** وما بعث النار؟ **قيل:** عطف على مقدر، أي: سمعت وأطعت، وما بعث النار؟ أي: وما مقدار مبعوث النار.

وقيل: ما بمعنى كم العددية، والأظهر أن الواو استئنافية تفيد الربط بين سابقها ولاحقها، **قال:** أي الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. **قيل: يخالفه ما في حديث أبي هريرة:** ((من كل مائة تسعة وتسعين)).

وأجاب الكرماني: بأن مفهوم العدد مما لا اعتبار له، والمقصود منه تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين، ويمكن حمل حديث أبي سعيد على جميع ذرية أدم فيكون من كل ألف عشرة ويقرب من ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة.

ومسلم (٢٠١/١ ، رقم ٢٢٢).

ويحتمل أن يكون الأول يتعلق بالخلق أجمعين، والثاني بخصوص هذه الأمة، وأن يكون المراد ببعث النار الكفار، ومن يدخل النار من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافرا، ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصيا.

وهذا هو الأظهر والله تعالى أعلم، فعنده، أي: عند هذا الحكم يشيب الصغير، أي: من الحزن الكثير والهم الكبير.

وفي رواية البغوي: ((فحينئذ يشيب المولود))،[1] وظهور الشيب إما على الحقيقة، أو على الفرض والتقدير، وهذا هو الأظهر الملائم، **لقوله**: ((وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى))، أي: من الخوف، ((وما هم بسكارى))، أي: من الخمر، ((ولكن عذاب الله شديد)). ثم اعلم أن هذا الحديث مقتبس، **من قوله تعالى**: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}[الحج:١]، أي: احذروا بطاعته

---

[1] **أنظر**: "شرح السنة"، للبغوي (٤٢٧/٧).

عقابـه حتـى ترجـوا ثوابـه، إن زلزلـة الـساعة شـيء عظـيم، والزلزلة شدة الحركة على الحالة الهائلة، واختلفوا فيها، **فقال علقمة والشعبي:** هي من أشراط الساعة قبل قيامها. **وقال الحسن والسدي:** هي تكون يوم القيامة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: زلزلة الساعة قيامها، فتكون معها. يوم ترونها، أي: الساعة، أو الزلزلة تذهل كل مرضعة، أي: تشغل عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، أي: تسقط ولدها من هول ذلك اليوم.

قال الحسن: تذهل المرضع عن ولدها بغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها من غير تمام، وهذا بظاهره، **يؤيد قول من قال:** إن هذه الزلزلة تكون في الدنيا؛ لأن بعد البعث لا يكون حبل، **ومن قال:** تكون في القيامة. **قال:** هذا على وجه التعظيم للأمر، لا على حقيقته، **كقولهم:** أصابنا أمر يشيب فيه الوليد، يريد به شدته، **قالوا:** يا رسول الله وأينا ذلك

الواحد؟ ولما استعظموا ذلك الأمر واستشعروا الخوف منه، قال: أي: **في جوابهم تسلية لفؤادهم**: أبشروا.

قال الطيبي رحمه الله: لا يخلو هذا الاستفهام من أن يكون مجرى على حقيقته، أو يكون استعظاما لذلك الحكم واستشعار خوف منه، فالأول يستدعي أن يجاب بأن ذلك الواحد فلان.

أو متصف بالصفة الفلانية، والثاني يستدعي أن يجاب بما يزيل ذلك الخوف رفقا للناس، والثاني هو المراد، **لقوله**: ((أبشروا))، وكأنه قال وأينا من أمة محمد ذلك الناجي المفلح من بين سائر بني آدم، **فقال**: ((أبشروا، فإن منكم رجلا، ومن يأجوج ومأجوج بالألف)).

ويهمز فيهما ألف بالرفع في الأصول المصححة، فالجملة حالية، **وقدم الجار لكون المبتدأ نكرة، وفي نسخة**: "السيد عفيف الدين": ألفا بالنصب وهو الظاهر، فإنه من باب

العطف على معمولي عاملين مختلفين، والمجرور مقدم، والمعنى سيوجد بعدد كل رجل منكم ألف من يأجوج ومأجوج، فحينئذ يكثر أهل الجنة.

رحمتي سبقت غضبي:

وفيه إشعار بأن أهل النار أكثر من أهل الجنة، ولعل أهلها يكثرون بوجود الملائكة المقربين والحور العين، فصح معنى الحديث القدسي، فعن محمد بن إسماعيل، حدثنا معتمر، سمعت أبي، **يقول:** حدثنا قتادة، أن أبا رافع حدثه، أنه سمع أبا هريرة، **يقول:**

سمعت رسول الله ﷺ، **يقول:** ((إن الله كتب **كتاباً قبل أن يخلق الخلق:** إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش))[1]. **الكتابة هي:** إثبات الكلام المكتوب، في

---

[1] **حديث أبي هريرة:** أخرجه الدار قطني في الصفات (١/١٩ ، رقم ١٦)، وأحمد (٢/٢٥٩ ، رقم ٧٥٢٠)، وإسحاق بن راهويه (١/٤٠٩ ،

محل الكتابة، والله سبحانه، كتب ذلك الكتاب في شيء تثبت فيه الكتابة، ويثبت الكلام في ذلك الشيء بالكتابة، سواء كان اللوح المحفوظ أو غيره، فالمقصود إثبات الكتابة للكلام، وأن كون الكلام في الكتاب، ليس ككون الماء في الإناء، والعرض بالجوهر، والرجل في البيت، بل هو قسم غير هذا، وهو معقول يدركه الناس، ويفهمون معنى كون الكلام في الكتاب، وقوله: ((قبل أن يخلق الخلق))، **لا يعارض قوله في الرواية قبلها: ((لما قضى))؛ لأنه يجوز أن يراد بالخلق:** التقدير والفراغ منه، وهو غير الإيجاد، ومعلوم أن خلق الله تعالى لا نهاية له.

رقم ٤٥٩)، والبخاري (٦/٢٦٩٤ ، رقم ٦٩٦٩)، ومسلم (٤/٢١٠٧ ، رقم ٢٧٥١)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٨٧)، والديلمى (٣/٤٢١ ، رقم ٥٢٨٧).

وتبين أن مقصود البخاري رحمه الله بهذا الباب، أن يبين معنى كون القرآن في المصحف؛ أنه مكتوب مسطور فيه، مثل ما أن اسم الله في المصحف، فإن القرآن كلام الله، والكلام يقوم بالمتكلم صفة له.

قال شيخ الإسلام: ليس معنى قول السلف: القرآن كلام الله، منه بدأ، ومنه خرج، أنه فارق ذاته، وحل في غيره، فإن كلام المخلوق إذا تكلم به، لا يفارق ذاته، ويحل بغيره، فكيف يكون كلام الله؟ **قال تعالى:** {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً}[الكهف:٥]. فقد أخبر، أن الكلمة تخرج من أفواهم، ومع هذا فلم تفارق ذاتهم.

فالقرآن كلام الله، ويحفظ في القلوب، كما يحفظ الكلام، ومذكور بالألسنة كما يذكر الكلام بالألسنة، وهو مكتوب في المصاحف، والأوراق، كما أن الكلام يكتب في الكتاب والورق.

والكلام هو مجموع اللفظ والمعنى، فاللفظ يطابق المعنى ويدل عليه.

ولا يجوز أن يقال: إن القرآن محفوظ، كما أن الله معلوم، وهو متلو، كما أن الله مذكور، ومكتوب،كما أن الرسول مكتوب، فهذا خطأ، وضلال.

فليس وجود الأعين القائمة بأنفسها، كوجود العبارة الدالة على المعنى المطابق لها، **والفرق ظاهر بين قوله تعالى:** {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}[البروج:٢١-٢٢]، **وقوله:** { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ}[الواقعة:٧٧-٧٨]، **وبين قوله تعالى:**

{ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ }[الشعراء:١٩٦]، فإن القرآن، لم ينزل على نبي قبل محمد ﷺ، وإنما الذي في زبر الأولين ذكره، والخبر عنه، كما أن محمداً ﷺ مكتوب عندهم في التوراة، والإنجيل فالله ورسوله معلوم بالقلوب، مذكور بالألسنة مكتوب

في المصحف، كما أن القرآن معلوم لأهل الكتاب قبلنا، مكتوب عندهم، وذلك ذكره والخبر عنه.

ولكن الذي في المصحف عندنا، هو نفس القرآن.

ولهذا يجب أن يفرق بين قوله تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ}[القمر:٥٢]، وبين قوله تعالى: {وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ(٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ}[الطور:٢-٣]، فإن كون الأعمال في الزبر، مثل كون القرآن، والرسول محمد ﷺ في زبر الأولين.

وأما الكتاب المسطور في الرق المنشور، فهو كما يكتب الكلام نفسه في الكتاب.

فأين هذا من هذا؟ **وذلك أن كل شيء له في الوجود أربع مراتب:** وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان،ووجود في اللسان، ووجود في الكتاب.[(١)]

---

(١) أنظر: "مجموع الفتاوى" (١٢/٥١٧-٥١٨).

والكلام وجوده في اللسان، وليس بينه وبين المحل المكتوب فيه، مرتبة أخرى، بل نفس الكلام يثبت في الكتاب، **كما قال تعالى:** { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ}[الواقعة:٧٧-٧٨]، **وقال تعالى:** {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}[البروج:٢١-٢٢]، وقال تعالى: {يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}[البينة:١٠٢]، **وقال تعالى:** {كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاء ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ}[عبس:١١-١٤]، **وقال تعالى:** {وَلَو نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرطَاسٍ}[الأنعام:٧].

وليس في المصحف من الأعيان إلا ذكرها، ووصفها، والخبر عنها.

والكلام في الكتاب، ليس هو فيه، كما تكون الصفة بالموصوف، والعرض بالجوهر، والجسم بالمكان، وما هو بمنزله الدليل على المدلول، كالمخلوق الدال على الخالق. بل

هو قسم آخر، معقول بنفسه، والناس بفطرهم يفهمون معنى كون كلام الله في المصحف، وأن كلامه الذي قام به لم يفارق ذاته ويحل في غيره.

ويعلمون أن الذي في المصحف ليس مجرد دليل على معنى قائم في نفس الله، بل الذي في المصحف كلام الله، مطابق للفظه، ولفظه مطابق لمعناه، ومعناه مطابق لما في الخارج، وهو كلام الله حقيقة لا مجازاً.

وهذه مسألة عظيمة، ضل فيها طوائف من الناس، والبخاري رحمه الله ممن ابتلي فيها بمن لم يفهم الحق فيها؛ فارتكب شططاً، ونسب البخاري فيها إلى الباطل، ولهذا أكثر من البيان لها كما سبق، ومنشأ الاختلاف فيها، يعود إلى أصلين.[١]

أحدهما: مسألة تكلم الله تعالى بالقرآن، وغيره.

---

[١] راجع: "مجموع الفتاوى"؛ لشيخ الإسلام، ابن تيمية.

والثاني: تكلم العباد بكلام الله، وقد حاولت بيان الحق، في كلا المسألتين فيما سبق، قدر ما أوتيت من بيان، والله المستعان.

زاد البغوي: قال: ((فقال الناس: الله أكبر، **ثم قال:** والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا))، أي: أنتم أيها الصحابة، أو أيها الأمة، وهو الأظهر ((ربع أهل الجنة، فكبرنا))، التكبير للعجب والفرح التام والاستبشار والاستعظام، **فقال:** ((أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا))، ولعله درج الأمر لئلا تتقطع قلوبهم بالفرح الكثير دفعة، أو بالنظر إلى دخولهم في دفعات، أو أوحي إليه وحيا بعد وحي فأخبر بما بشر، **فقال:** ((أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة) فكبرنا)).

قال الطيبي رحمه الله: في الحديث تنبيه على أن يأجوج ومأجوج داخلون في هذا الوعيد، **ودلّ بقوله:** "أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة"، أن غير يأجوج ومأجوج من الأمم

السالفة الفائتة للحصر أيضا داخلون في الوعيد، فإذا وزع نصف أمة محمد مع مثله من الأمم السالفة على هؤلاء يكون كالواحد من الألف، يدل عليه رواية الراوي.

قال الطيبي رحمه الله: وقولهم: الله أكبر مرارا ثلاثا"، متعجبين استبشار منهم واستعظام لهذه النعمة العظمى والمنحة الكبرى، فيكون في هذا الاستعظام بعد ذلك الاستعظام إشارة إلى فوزهم بالبغية بعد اليأس منها.

ولعل ورود هذا الحديث قبل علمه بأن أمته ثلثا أهل الجنة، إذ قد ورد أن أهل الجنة مائة وعشرون صفا، ثمانون صفا أمته، وأربعون سائر الأمم. ويمكن أن يكونوا نصفا بالنسبة إلى الداخلين أولا.

وفي المعالم روي عن عمران بن الحصين وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما: أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا، فنادى منادي رسول الله فحثوا المطي

حتى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة.

فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام، ولم يطبخوا قدرا، والناس بين باك أو جالس حزين متفكرين، **فقال رسول الله ﷺ**: ((أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا الله ورسوله أعلم، **قال: ذلك يوم يقول الله** ﷻ: يا آدم قم فابعث بعث النار من ولدك. **قال: فيقول** آدم: من كل كم كم؟ **فيقول الله** ﷻ: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدا إلى الجنة، **قال**: فكبر ذلك على المسلمين وبكوا، **وقالوا**: فمن ينجو إذا يا رسول الله؟

فقال رسول الله ﷺ: أبشروا وسددوا وقاربوا، فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، **ثم قال**: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله، **ثم قال**: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا وحمدوا

الله، **ثم قال**: إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة، وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفا، ثمانون منها أمتي.

وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، **ثم قال**: ويدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب.

فقال عمر ﷺ: سبعون ألفا؟ قال: نعم، ومع كل واحد سبعون ألفا، فقام عكاشة بن محيصن، **فقال**: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم، **فقال رسول الله** ﷺ: أنت منهم، فقام رجل من الأنصار، **فقال**: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم، **فقال**: سبقك بها عكاشة))[1].

---

[1] **حديث ابن مسعود**: أخرجه عبد الرزاق عن معمر بن راشد في الجامع (١٠/٤٠٨ ، رقم ١٩٥١٩) ، وأحمد (١/٤٠١ ، رقم ٣٨٠٦)، والطبراني (١٠/٦ ، رقم ٩٧٦٦) **قال الهيثمي** (٩/٣٠٤): رواه أحمد

وعنـه أي عن أبـي سـعيد رضـي الله عنـه قـال سـمعت رسـول الله ﷺ، يقول: ((يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد لـه كل مؤمن ومؤمنـة، ويبقـى كل مـن كـان يـسجد فـي الـدنيا ريـاء وسـمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا)).

قـال التوريـشتي رحمـه الله: مـذهب أهل الـسلامة مـن الـسلف التورع من التعرض للقول فـي مثل هذا الحديث، وهو الأمثل والأحوط وقد تأولـه جمع من العلمـاء بأن الكشف عن الساق

ورواه أبـو يعلـى ورجالهمـا فـي المطـول رجـال الـصحيح. **وقـال فـي** (٤٠٦/١٠): رواه أحمد بأسانيد والبزار أتم منـه والطبراني وأبـو يعلى باختصار كثير وأحد أسانيد أحمد والبزار رجاله رجال الصحيح. والحاكم (٦٢١/٤ ، رقم ٨٧٢١)، **وقال:** صحيح الإسناد. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣١٤/١ ، رقم ٩١١)، وابن عاصم في الآحاد والمثانى (١٩٣/١ ، رقم ٢٥٠)، وابـن حبـان (٣٤١/١٤ ، رقـم ٦٤٣١)، وأبـو يعلى (٢٣١/٩ ، رقم ٥٣٣٩).

مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، واستعماله فيها شائع، ومنه قول الشاعر:

"عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومن طرادى الطير...عن أرزاقها في سنة قد كشفت عن ساقها"

يوم الكرب والشِّدة:

ومنه قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}[القلم:٤٢]، أي: عن شدة، وتنكير الساق في الآية من دلائل هذا التأويل، ووجه تعريف الساق في الحديث دون الآية أن، **يقال:** أضافها إلى الله تعالى تنبيها على أنها الشدة التي لا يجليها لوقتها إلا هو، أو على أنها هي التي ذكرها في كتابه.

وجمهور المفسرين على أن الكشف عن ساق عبارة عن شدة الأمر، وصعوبة الخطب، أي: يوم يشتد الأمر ويصعب.

وقيل: ساق الشيء: أصله الذي به قوامه، كساق الشجرة وساق الإنسان، أي: يوم يكشف عن أصل الأمر، فتظهر

حقائق الأمور وأصولها، بحيث تصير عيانا. وتنكيره للتهويل العظيم.

قال **النسفي**: ولا كشف ثم ولا ساق، ولكن كنى به عن شدة الأمر؛ لأنهم إذا ابتلوا بالشدة كشفوا عن الساق، **وقال**: كشفت الحرب عن ساقها، **وهذا كما تقول للشحيح**: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل، وإنما هو كناية عن البخل، وأما من شبه فلضيق عطفه وقلة نظره في علم البيان، ولو كان الأمر كما زعم المشبه؛ لكان من حق الساق أن يعرف؛ لأنها ساق معهودة عنده.

وقد نقل الثعلبي أحاديث الحشر، وكلها تدل على أن كشف الساق حقيقة، وذكر حديث أبي موسى أن النبي ﷺ، **قال**: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}[القلم:٤٢]، **قال**: عن نور عظيم، يخرون له سجدا، ثم ذكر حديث الحشر بتمامه، ومن كحل عينيه بإثمد التوحيد الخاص لم يصعب عليه أمثال هذه

المتشابهات؛ إذ الحق جل جلاله غير محصور، بل يتجلى كيف شاء.

وقد ورد أنه يتجلى لفصل عباده، فيجلس على كرسيه، **وورد أيضا في حديث كشف الساق**: أنه يتقدم أمامهم بعد كشف الساق وسجود المؤمنين له، ثم ينطلق بهم إلى الجنة. ذكر الحديث المنذري وغيره، ونقله المحشي الفاسي في سورة البقرة، **عند قوله**: {هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ}[البقرة:٢١٠]، وليس هذا تجسيم ولا حصر؛ إذا ما في الوجود إلا تجليات الحق، ومظاهر ذاته.

قال الخطابي: المعنى يكشف عن قدرته التي تكشف عن الشدة والكرب. **وقيل**: الأصل فيه أن يموت الولد في بطن الناقة، فيدخل الرجل يده في رحمها فيأخذ بساقه ليخرجه، فهذا هو الكشف عن الساق، ثم استعمل في كل أمر فظيع.

أقول ويمكن أن يكون استعارة وحاصله: أن الله تعالى يأخذهم بالشدائد كمن يكشف عن ساقه بالتشمير عند دخوله في أمر خطير، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، أي: من كمال الشدة يقعون في السجدة طالبين رفعها بتلك القربة.

قال أبو يعلي: "يكشف" عن نور عظيم فيخرون له سجدا، فهذا يشعر بأنه تعالى يتجلى للناس تجليا صوريا، وبهذا ينحل الإشكال في كثير من أحاديث الصفات على ما قرره بعض مشايخنا، والله تعالى أعلم ثم المراد بالمؤمن والمؤمنة الخلص منهما، ولذا قال: ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، أي: نفاقا وشهرة، فيذهب، أي: يقصد ويشرع ليسجد فيعود، أي: يصير ظهره طبقا واحدا، أي: عظما بلا مفصل بحيث لا ينثني عند الرفع والخفض، فلا يقدر.

والطبق فقار الظهر واحده طبقة، يعني: صار فقاره واحدا فلا يقدر على الانحناء، والمعنى: أنه تعالى يكشف يوم القيامة

عن شدة ترتفع دونها سواتر الامتحان، فيتميز أهل الإخلاص والإيقان بالسجود عن أهل الريب والنفاق في اليوم الموعود.

الشراب الطهور:

وعندما يشتد الكرب على العباد، ويتوجه المؤمنون إلى حوض النبي المصطفى ﷺ، فمنهم من يسقيه أبو بكر، ومنهم من يسقيه عمر، ومنهم من يسقيه عثمان، ومنهم من يسقيه علي، ومنهم من يسقيه الملائكة، ومنهم من يسقيه النبي بيده الشريفة، ومنهم من يُرفع الكأس على فمه ولا يرى من يسقيه، **فيقول:** من الذي سقاني!؟

فيُنادي عليه المنادي، **فيقول:** ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[الإنسان:٢١]، يا أبا القاسم، يا حبيب الله، يا جلاء حزني، وذهاب غمي وعمي، أشهد أنك بلغت الرسالة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، ومحوت الظلمة، وجاهدت في الله حق جهاده، فجزاك الله خير ما جزي نبياً عن أمته،

ورسولاً عن قومه، وأفضل على كل ما هو له أهل. **فيُنادي** عليه المنادي، **فيقول**: {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً}[الإنسان:٢١]، أي: يطهر الأوضار من الصدور؛ {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا}[الأعراف:٤٣]، أي: لهذا الثواب؛ بأن أرشدنا وخلق لنا الهداية. {وَمَا كُنَّا} قراءة ابن عامر بإسقاط الواو. والباقون بإثباتها. {لِنَهْتَدِيَ} لام كي. {لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} في موضع رفع. {وَنُودُوا} أصله. **نوديوا**: { أَنْ} في موضع نصب مخففة من الثقيلة؛ أي: بأنه {تِلْكُمُ الْجَنَّةُ}، وقد تكون تفسيرا لما نودوا به؛ لأن النداء قول؛ فلا يكون لها موضع.

أي: **قيل لهم**: {تِلْكُمُ الْجَنَّةُ}؛ لأنهم وعدوا بها في الدنيا؛ أي: **قيل لهم**: هذه تلكم الجنة التي وعدتم بها، أو يقال ذلك قبل الدخول حين عاينوها من بعد. **وقيل**: {تِلْكُمُ}بمعنى هذه. **ومعنى**: { أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، أي: ورثتم منازلها

بعملكم، ودخولكم إياها برحمة الله وفضله. كما قال: {ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ}[النساء:٧٠].

لن يدخل أحد الجنة بعمله:

وقال: {فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ}[النساء:١٧٥]. **وفي صحيح مسلم:** ((لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة))، **قالوا:** ولا أنت يا رسول الله؟ **قال:** ((ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل)).[(١)]

وفي غير الصحيح: ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله في الجنة والنار منزل؛ فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها، **فقيل لهم:** هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله. **ثم يقال:** يأهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون؛ فتقسم بين أهل الجنة منازلهم. **وفي صحيح مسلم:** ((لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في

[(١)] **حديث أبي هريرة:** أخرجه مسلم (١٤٠/٨، رقم ٧٢٩٤).

النار يهوديا أو نصرانيا)).[1] فهذا أيضا ميراث؛ نعم بفضله من شاء وعذب بعدله من شاء. وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تنال إلا برحمته؛ فإذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته، ودخلوها برحمته؛ إذ أعمالهم رحمة منه لهم وتفضل عليهم. وقرئ: { أُورِثْتُمُوهَا}من غير إدغام. وقرئ بإدغام التاء في الثاء.

قال سبحانه: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}[الأعراف:٤٤].

ونادى أصحاب الجنة -بعد دخولهم فيها- أهلَ النار، **قائلين لهم:** إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على ألسنة رسله حقًا من

---

[1] **حديث أبي موسى:** أخرجه مسلم (٤/٢١١٩ ، رقم ٢٧٦٧)، والطيالسى (ص ٦٨ ، رقم ٤٩٩)، وأحمد (٤/٣٩١ ، رقم ١٩٥٠٣).

إثابة أهل طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنة رسله حقًا من عقاب أهل معصيته؟

فأجابهم **أهل النار** قائلين: نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا.

فأذَّن مؤذن بين أهل الجنة وأهل النار: أنْ لعنة الله على الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، وكفروا بالله ورسله.

قال أبو حيان الأندلسي: عبر بالماضي عن المستقبل لتحقُّق وقوعه، وهذا النداء فيه تقريع وتوبيخ، وتوقيف على مآل الفريقين، وزيادة في كرب أهل النار بأن شرفوا عليهم، وبخلق إدراك أهل النار لذلك النداء في أسماعهم.

قال الزمخشري: وإنما قالوا لهم ذلك اعتباطاً بحالهم وشماتة بأهل النار وزيادة في غمّهم؛ وليكون حكايته لطفاً لمن سمعها، وكذلك قول المؤذِّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين، وهو ملك يأمره الله تعالى فينادي بينهم يسمع أهل الجنة وأهل النار.

قـال الـشيخ الـشعراوي: ويبـين لنـا الحـق سـبحانه رحمتـه، **فيقول:** {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}[الأعراف:٤٤].

ويأتي أمر رجال الأعراف، **فيقول سبحانه:** {وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ}[الأعـراف:٤٦]، لقـد عرفـوا المؤمنين بسيماهم، وعرفوا الكفار بسيماهم، وجليس البعض على الأعراف؛ **ينتظـرون وينظـرون لأهـل الجنـة قـائلين:** {سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}[الأعراف:٤٦].

ثـم يعطينـا الحـق سـبحانه صـورة ثانيـة، **فيقـول:** { وَنَـادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّـا رَزَقَكُـمُ اللّـهُ قَـالُواْ إِنَّ اللّـهَ حَرَّمَهُمَـا عَلَـى الْكَـافِرِينَ}[الأعـراف:٥٠]. أهـل الأعـراف - إذن - يـسعدون بعطـاء الله لأهـل الجنـة، ويطمعـون أن يغفـر الله - سـبحانه

وتعالى - لهم. ونحن في حياتنا نسمع المشرفين على المساجين، أو المحكوم عليهم بالإعدام، **يقولون:** قبل أن يحكم على المجرم بالإعدام ينخفض وزنه، ثم يزيد بعد الحكم؛ لأن الأمر قد استقر.

والذين يُشغلون بأن يعرفوا مكانهم في الآخرة، أهو في الجنة أو في النار، لا ينسون أن يقولوا للمؤمنين:{سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ}[الأعراف:٤٦].

وهنا يقول الحق سبحانه عن أهل الجنة: {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[يونس:١٠]، وقد تكون آخر دعواهم، أي: آخر كلمة.

فالواحد منهم، **يقول:** أنا حمدت ربنا على الشيء الفلاني والشيء الفلاني. وآخر حَمْد هو قمة الحمد؛ لأنهم حمدوا الله على النعمة في الدنيا التي تزول، ويحمدونه في الآخرة على النعمة التي لا تزول، فلئِنْ يوجد حَمْد على النعمة التي لا

تزول فهو قمة الحمد. **قال القرطبي:** إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فتجري عليهم بنضرة النعيم، فلا تتغير أبشارهم، ولا تتشعث أشعارهم أبدا، ثم يشربون من الأخرى، فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة، **فيقولون لهم:** {سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}[الزمر:٧٣].

وقال النخعي وأبو قلابة: هو إذا شربوه بعد أكلهم طهرهم، وصار ما أكلوه وما شربوه رشح مسك، وضمرت بطونهم.

وقال مقاتل: هو من عين ماء على باب الجنة، تتبع من ساق شجرة، من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد، وما كان في جوفه من أذى وقذر.

وهذا معنى ما روي عن علي، إلا أنه في قول مقاتل عين واحدة وعليه فيكون فعولا للمبالغة، ولا يكون فيه حجة للحنفي أنه بمعنى الطاهر.

وقال طيب الجمال: صليت خلف سهل بن عبد الله العتمة، فقرأ: {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً}[الإنسان:٢١]، وجعل يحرك شفتيه وفمه، كأنه يمص شيئا، فلما فرغ، **قيل** له: أتشرب أم تقرأ ؟ **فقال:** والله لو لم أجد لذته عند قراءته كلذته عند شربه ما قرأته.

قوله تعالى: { إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً}[الإنسان:٢٢]، أي **يقال لهم:** إنما هذا جزاء لكم أي ثواب. {وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً}[الإنسان:٢٢]، أي: عملكم {مَشْكُوراً}، أي: من قبل الله، وشكره للعبد قبول طاعته، وثناؤه عليه، وإثابته إياه.

وروى سعيد عن قتادة، قال: غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسنى.

وقال مجاهد: {مَشْكُوراً}، أي: مقبولا والمعنى متقارب؛ فإنه سبحانه إذا قبل العمل شكره، فإذا شكره أثاب عليه بالجزيل؛ إذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم.

روي عن **ابن عمر** ﷺ: أن رجلا حبشيا، **قال:** يا رسول الله! فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به، وعملت بما عملت، أكائن أنا معك في الجنة؟

قال: ((نعم والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة، وضياؤه من مسيرة ألف عام))، **ثم قال النبي** ﷺ: ((من قال لا إله إلا الله كان له بها عند الله عهد، ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له بها عند الله مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة)).

فقال الرجل: كيف نهلك بعدها يا رسول الله؟

فقال: ((إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضعه على جبل لأثقله، فتجيء النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفد ذلك كله إلا أن يلطف الله برحمته)).

قال: ثم نزلت: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}[الإنسان: ١]، إلى قوله: {وَمُلْكاً كَبِيراً}.

قال الحبشي: يا رسول الله! وإن عيني لترى ما ترى، عيناك في الجنة؟

فقال النبي ﷺ: ((نعم)).

فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه.

وقال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته، ويقول : {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً}[الإنسان:٢٢].

قلنا: يا رسول الله! وما هو؟

قال: ((والذي نفسي بيده لقد أوقفه الله ثم، قال: أي عبدي لأبيضن وجهك، ولأبوئنك من الجنة حيث شئت، فنعم أجر العاملين))[١].

صلى الله عليك يا علم الهدى، ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم، لا إله إلا الله أخلو بها وحدي، لا إله إلا

---

[١] أنظر: "الجامع لأحكام القرآن"(١٩/٤٨).

الله أختم بها عمري، لا إله إلا الله يغفر بها ذنبي، لا إله إلا الله أدخل بها قبري، لا إله إلا الله ألقى بها ربي.

نداء نوح لله تعالى:

كاد نوح عليه ﷺ أن يسقط من ديوان الأنبياء؛ **لو لم يُقدِّم العذر لله تعالى؛** {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[هود:٤٥-٤٧].

إنَّ القدر عجيب، ويجب على كل مؤمن أن يكون دائما على حذر، وأن يكون دائما على استعداد للقاء الله، ما أغمضت عيني، وملكت أنني أفتحها، ومن فتحتها وملكت أن غمضها، وما رفعت قدمي وملكت أن أضعها، وما وضعتها وملكت أن

أرفعها. قوله تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ}، أي: دعاه. {وَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}، أي: من أهلي الذين وعدتهم أن تنجيهم من الغرق؛ ففي الكلام حذف. {وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ}، **يعني:** الصدق.

قال علماؤنا: وإنما سأل نوح ربه ابنه لقوله: { وَأَهْلَكَ}، وترك قوله: { إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ}[هود:٤٠]، فلما كان عنده من أهله، **قال:** {رَبِّ إِنْ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}، **يدل على ذلك قوله:** {وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ}، أي: لا تكن ممن لست منهم ؛ لأنه كان عنده مؤمنا في ظنه، **ولم يك نوح يقول لربه:** { إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}، إلا وذلك عنده كذلك؛ إذ محال أن يسأل هلاك الكفار، ثم يسأل في إنجاء بعضهم؛ وكان ابنه يسر الكفر ويظهر الإيمان؛ فأخبر الله تعالى نوحا بما هو منفرد به من علم الغيوب؛ أي: علمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت. **وقال الحسن:** كان منافقا؛ ولذلك استحل نوح أن يناديه.

وعنه أيضا: كان ابن امرأته؛ **دليله قراءة علي:** "ونادى نوح ابنها". {وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} ابتداء وخبر. **أي:** حكمت على قوم بالنجاة، وعلى قوم بالغرق.

قوله تعالى: {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}، **أي:** ليس من أهلك الذين وعدتهم أن أنجيهم؛ قاله سعيد بن جبير.

وقال الجمهور: ليس من أهل دينك ولا ولايتك؛ فهو على حذف مضاف؛ وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب. { إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}، **قرأ ابن عباس وعروة وعكرمة ويعقوب والكسائي:** { إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}، **أي:** من الكفر والتكذيب؛ واختاره أبو عبيد.

وقرأ الباقون: "عمل"، **أي:** ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف؛ قاله الزجاج وغيره.

قال:

"ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار"

أي: ذات إقبال وإدبار.

وهذا القول والذي قبله يرجع إلى معنى واحد. ويجوز أن تكون الهاء للسؤال؛ أي: إن سؤالك إياي أن أنجيه. عمل غير صالح.

قال الحسن: معنى عمل غير صالح أنه ولد على فراشه ولم يكن ابنه. وكان لغير رشده.

قال قتادة: سألت الحسن عنه، فقال: والله ما كان ابنه؛ قلت: إن الله أخبر عن نوح أنه، **قال:** { إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}، **فقال:** لم يقل مني، وهذه إشارة إلى أنه كان ابن امرأته من زوج آخر؛ **فقلت له:** إن الله حكى عنه أنه، **قال:** { إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}، {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ}، ولا يختلف أهل الكتابين أنه ابنه؛ **فقال الحسن:** ومن يأخذ دينه عن أهل الكتاب! إنهم يكذبون. وقرأ: {فَخَانَتَاهُمَا}[التحريم: ١٠]. **وقال ابن جريج:** ناداه وهو يحسب أنه ابنة، وكان ولد على فراشه، وكانت

امرأته خانته فيه، ولهذا قال: {فَخَانَتَاهُمَا}. وقال ابن عباس: "ما بغت امرأة نبي قط"، وأنه كان ابنه لصلبه. وكذلك قال الضحاك، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وغيرهم، وأنه كان ابنه لصلبه.

وقيل لسعيد بن جبير: يقول نوح: { إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}، أكان من أهله؟ أكان ابنه؟ فسبح الله طويلا ثم، قال: "لا إله إلا الله! يحدث الله محمدا ﷺ أنه ابنه، وتقول: إنه ليس ابنه! نعم كان ابنه؛ ولكن كان مخالفا في النية والعمل والدين، ولهذا قال الله تعالى: { إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}، وهذا هو الصحيح إن شاء الله تعالى لجلالة من قال به.

وإن قوله: { إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}، ليس مما ينفي عنه أنه ابنه. وقوله: {فَخَانَتَاهُمَا}[التحريم:١٠]، يعني في الدين لا في الفراش، وذلك أن هذه كانت تخبر الناس أنه مجنون، وذلك أنها قالت له: أما ينصرك ربك؟

فقال لها: نعم.

قالت: فمتى؟

قال: إذا فار التنور؛ فخرجت تقول لقومها: يا قوم والله إنه لمجنون، يزعم أنه لا ينصره ربه إلا أن يفور هذا التنور، فهذه خيانتها.

وخيانة الأخرى أنها كانت تدل على الأضياف، والله أعلم.

وقيل: الولد قد يسمى عملا كما يسمى كسبا، **كما في الخبر:** ((أولادكم من كسبكم)).[1]

في هذه الآية تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين.

---

[1] **حديث عائشة:** أخرجه ابن أبى شيبة (٧/٢٩٤ ، رقم ٣٦٢١٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/٤٨)، والترمذي (٣/٦٣٩ ، رقم ١٣٥٨) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٧/٢٤١ ، رقم ٤٤٥٠)، وابن ماجه (٢/٧٦٨ ، رقم ٢٢٩٠)، وأحمد (٦/١٦٢ ، رقم ٢٥٣٣٥).

وروي أن ابن مالك بن أنس نزل من فوق ومعه حمام قد غطاه، **قال:** فعلم مالك أنه قد فهمه الناس؛ **فقال مالك:** الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات، والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات.

وفيها أيضا دليل على أن الابن من الأهل لغة وشرعا، ومن أهل البيت؛ فمن وصى لأهله دخل في ذلك ابنه، ومن تضمنه منزله، وهو في عياله. **وقال تعالى في آية أخرى:** {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ(٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}[الصافات:٧٥-٧٦]، فسمى جميع من ضمه منزله من أهله.**ودلت الآية على قول الحسن ومجاهد وغيرهما:** أن الولد للفراش؛ ولذلك قال نوح ما قال آخذا بظاهر الفراش. وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع عبيد بن عمير، **يقول:** نرى رسول الله ﷺ إنما قضى بالولد للفراش من أجل ابن نوح عليه السلام؛ ذكره أبو عمر

في كتاب "التمهيد". وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه، قال: ((الولد للفراش، وللعاهر الحجر))،[1] يريد: الخيبة. وقيل: الرجم بالحجارة.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في غلام، فقال سعد: يا رسول الله هذا ابن أخي عتبة بن أبي وقاص، عهد إلي أنه ابنه، انظر إلى شبهه.

وقال عبد بن زمعة: هذا أخي يا رسول الله ولد على فراش أبي من وليدته، فنظر رسول الله ﷺ إلى شبهه فرأى شبها بينا بعتبة، فقال: ((هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش وللعاهر

---

[1] حديث عائشة: أخرجه البخاري (٢/٧٢٤ ، رقم ١٩٤٨)، ومسلم (٢/١٠٨٠ ، رقم ١٤٥٧)، وأبو داود (٢/٢٨٢ ، رقم ٢٢٧٣)، والنسائي (٦/١٨٠ ، رقم ٣٤٨٤)، وابن ماجه (١/٦٤٦ ، رقم ٢٠٠٤).

الحجر، واحتجبي منه يا سودة))، فلم ير سودة قط. **يقال:** زمعة بإسكان الميم، وهو الأكثر، **ويقال:** زمعة بفتح الميم أيضا.

والحديث أصل في إلحاق الولد صاحب الفراش وإن طرأ عليه وطء محرم، وقد استدل به بعض المالكية على قاعدة من قواعدهم وأصل من أصول المذهب وهو الحكم بين حكمين، **وذلك أن يكون الفرع يأخذ مشابهة من أصول متعددة:** فيعطى أحكاما مختلفة ولا يمحض لأحد الأصول.

وبيانه من الحديث: أن الفراش مقتض لإلحاقه بزمعة والشبه البين مقتض لإلحاقه بعتبة، فأعطي النسب بمقتضى الفراش وألحق بزمعة، وروعي أمر الشبه بأمر سودة بالاحتجاب منه فأعطي الفرع حكما بين حكمين، فلم يمحض أمر الفراش فتثبت المحرمية بينه وبين سودة، ولا روعي أمر الشبه مطلقا فيلتحق بعتبة.

قالوا: وهذه أولى التقديرات فإن الفرع إذا دار بين أصلين فألحق بأحدهما مطلقا، فقد أبطل شبهه الثاني من وكل وجه. وكذلك إذا فعل بالثاني ومحض إلحاقه به: كان إبطالا لحكم شبهه بالأول فإذا ألحق بكل واحد منهما من، وجه: كان أولى من إلغاء أحدهما من كل وجه.

ويعترض على هذا بأن صورة النزاع: ما إذا دار الفرع بين أصلين شرعيين يقتضي الشرع إلحاقه بكل واحد منهما من حيث النظر إليه، وهاهنا لا يقتضي الشرع إلا إلحاق هذا الولد بالفراش والشبه هاهنا غير مقتض للإلحاق شرعا فيحمل قوله: ((واحتجبي منه يا سودة))، على سبيل الاحتياط والإرشاد إلى مصلحة وجودية لا على سبيل بيان حكم شرعي، ويؤكده: أنا لو وجدنا شبها في ولد لغير صاحب الفراش لم يثبت لذلك حكما وليس في الاحتجاب هاهنا إلا ترك أمر مباح على تقدير ثبوت المحرمية وهو

قريب. **وقوله** ﷺ: ((هو لك))، أي: أخ، **وقوله** ﷺ: ((الولد للفراش))، أي: تابع للفراش، أو محكوم له للفراش، أو يقارب هذا.

وقوله ﷺ: ((وللعاهر الحجر))، **قيل: إن معناه:** أن له الخيبة مما ادعاه وطلبه كما، **يقال:** لفلان التراب، **وكما جاء في الحديث الصحيح:** ((وإن جاء يطلب ثمن الكلب فاملأ كفه ترابا))[1]، **تعبيرا بذلك عن خيبته:** وعدم استحقاقه لثمن الكلب، وإنما لم يجروا اللفظ على ظاهره، **ويجعلوا الحجر هاهنا عبارة عن الرجم المستحق في حق الزاني**؛ لأنه ليس كل عاهر يستحق الرجم، وإنما يستحقه المحصن فلا يجرى

---

[1] **حديث ابن عباس:** أخرجه أبو داود (٣/٢٧٩ ، رقم ٣٤٨٢)، والبيهقى (٦/٦ ، رقم ١٠٧٩١)، وأبو يعلى (٤/٤٦٨ ، رقم ٢٦٠٠). **قال الحافظ في الفتح (٤/٤٢٦)**: إسناده صحيح. **ومن غريب الحديث:** "فاملأ كفه ترابا": كناية عن الحرمان والخيبة.

لفظ العاهر على ظاهره في العموم، أما إذا حملناه على ما ذكرناه من الخيبة:

كان ذلك عاما في حق كل زان، والأصل العمل بالعموم فيما تقتضيه صيغته.

قوله تعالى: { إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}، أي: أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك لئلا تكون، أو كراهية أن تكون من الجاهلين؛ أي: الآثمين.

ومنه قوله تعالى: {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً}[النور:١٧]، أي: يحذركم الله وينهاكم.

وقيل: المعنى أرفعك أن تكون من الجاهلين.

قال ابن العربي: وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحا عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء والعارفين؛ فـ "قال" نوح: {رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} الآية، وهذه ذنوب الأنبياء عليهم السلام، فشكر الله تذلله

وتواضعه. {وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي}، ما فرط من السؤال. {وَتَرْحَمْنِي}، أي: بالتوبة. {أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، أي: أعمالا.

دعاء إبراهيم ربه:

أنظر إلى إبراهيم عليه السلام **حيث يقول:** {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ(٩٩)رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ(١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ(١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[الصافات:٩٩-١٠١]. **فلماذا قال:** {يَا أَبَتِ افْعَلْ}، ولم يقل له اذبحني؟

لأنه لو قال له: اذبحني، فإنه بهذه الإجابة يكون أجاب لأمر الذبح.

المهاجر إلى ربه:

وهاجر لوط عليه السلام: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[العنكبوت:٢٦]، وهاجر موسى عليه السلام

بقومه، وهاجر محمد ﷺ، وهاجر المسلمون بإذنه إلى الحبشة، ثم إلى المدينة يثرب، ولما استقرّ المسلمون من أهل مكّة بالمدينة غلب عليهم وصف المهاجرين وأصبحت الهجرة صفة مدح في الدين، **ولذلك قال النبي في مقام التفضيل:** ((لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار))[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة، **فقال:** ((ويحك إن شأنها شديد، فهل لك من إبل تؤدي صدقتها؟))، **قال:** نعم؛ **قال:** ((فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يترك من عملك شيئا))[2]،

---

[1] **حديث أنس:** أخرجه البخاري (٤/١٥٧٥ ، رقم ٤٠٧٧)، ومسلم (٢/٧٣٥ ، رقم ١٠٥٩). **وللحديث أطراف أخرى منها:** "لو سلك الناس واديا أو شعبا وسلكتم واديا" .

[2] **حديث أبي سعيد:** أخرجه أحمد (٣/١٤ رقم ١١١٢٠)، والبخاري (٢/٥٢٧ ، رقم ١٣٨٤)، ومسلم (٣/١٤٨٨ ، رقم ١٨٦٥)، وأبو داود

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية)).[1]

وقال إبراهيم عليه السلام: { إِنِّي ذَاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ }، قيل: إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد أنه ذاهب إلى ربه بالموت؛ لأنه ظن أن النار تحرقه، وسيهدين على القول الأول يعني إلى صلاح الدين والدنيا، وعلى القول الثاني إلى الجنة، وقالت المتصوفة: معناه إني ذاهب إلى ربي بقلبي، أي مقبل على الله بكليتي تاركاً سواه.

(٣/٣ ، رقم ٢٤٧٧)، والنسائي (١٤٣/٧ ، رقم ٤١٦٤)، وابن حبان (٤١/٨ ، رقم ٣٢٤٩). **ومن غريب الحديث:** "يترك": أي: ينقصك.

[1] **حديث ابن عباس:** أخرجه أحمد (٢٢٦/١ ، رقم ١٩٩١)، وابن أبى شيبة (٤٠٧/٧ ، رقم ٣٦٩٣٠)، والترمذي (١٤٨/٤ ، رقم ١٥٩٠) وقال: حسن صحيح. والنسائي (١٤٦/٧ ، رقم ٤١٧٠)، والبخاري (١٠٢٥/٣ ، رقم ٢٦٣١)، وأبو داود (٣/٣ ، رقم ٢٤٨٠).

وقال: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصالحين}، **يعني:** ولداً من الصالحين، {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}، أي: عاقل، واختلف الناس في هذا الغلام المبشر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ **فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين:** هو إسماعيل؛ **وحجتهم من ثلاثة أوجه:**

الأول: أن رسول الله ﷺ، **قال:** ((أنا ابن الذبيحين))[1]، يعني إسماعيل عليه السلام، ووالده عبد الله، حين نذر والده عبد المطلب أن ينحر أحد أولاده وأصابت القرعة عبد الله، إن يسر الله له أمر زمزم، ففداه بمائة من الإبل.

---

[1] أنظر: "أعلام النبوة"، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **الناشر:** دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧، **تحقيق:** محمد المعتصم بالله البغدادي، (٢١٥/١).

والثـاني: أن الله تعـالى قـال بعـد تمـام قصـة الـذبيح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾، فدل ذلك على أن الذبيح غيره.

والثالـث: أنـه روي أنـه إبـراهيم جـرت لـه قصـة الـذبح بمكـة، وإنما كان معه بمكة إسماعيل. وذهب عليّ بن أبي طالب، وابـن مسعود، وجماعـة مـن التـابعين إلـى أن الـذبيح إسـحاق؛ وحجتهم من وجهين:

الأول: أن البـشارة المعروفــة لإبـراهيم بـالوادي إنمــا كانــت بإســحاق؛ **لقولـــه:** ﴿وَبَـشَّرْنَاهُ بِإِسْـحَاقَ﴾، ومــن وراء إســحاق يعقوب.

والثـاني: أنـه روي أن يعقوب، كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله .

قولـه تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾؛ يريد بالسعي هنا العمل والعبادة، **وقيـل:** المشي، وكان حينئذ ابن ثلاثة عشرة سنة، ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّى أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾، يحتمل أن

يكون رأى في المنام الذبح وهو الفعل، أو أمر في المنام أن يذبحه، والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني أظهر **في قوله:** {افعل مَا تُؤمَرُ}.

رؤيا الأنبياء حق:

ورؤيا الأنبياء حق، فوجب عليه الامتثال على الوجهين: {فَانظُرْ مَاذَا تَرَى}، **إن قيل:** لم شاوره في أمر هو حتم من الله؟ **فالجواب:** أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر، فأجابه بأحسن جواب: {فَلَمَّا أَسْلَمَا}، أي: استسلما وانقيادا لأمر الله، {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ }، أي: صرعه بالأرض على جبينه وللإنسان جبينان حول الجبهة، وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره، فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم، **وقال الكوفيون:** جوابها تله والواو زائدة، **وقال بعضهم: جوابها: ناديناه والواو زائدة:** {قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ}، يحتمل أنه يريد بقلبك أي كانت عندك

رؤيا صادقة فعملت بحسبها، ويحتمل أن يريد بعملك، أي: وفيت حقها من العمل، **فإن قيل**: إنه أمر بالذبح ولم يذبح. **فكيف قيل له**: صدقت الرؤيا؟ فالجواب: أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح ولو لم يَفْدِه الله لذبحه، ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه، فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله، **وقد مضى إبراهيم ما عليه**: { الْبَلاَء الْمُبِين} الذي يظهر به طاعة الله، أو المحنة البينة الصعوبة.

الكبش العظيم:

وقوله تعالى: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}، الذبح اسم لما يذبح، وأراد به هنا الكبش الذي فدى به، وروي أنه من كباش الجنة، **وقيل**: إنه الكبش الذي قرب به ولد آدم، ووصفه بعظيم لذلك، أو لأنه من عند الله أو لأنه متقبل، وروي في القصص أن الذبيح، **قال لإبراهيم**: أشدد رباطي لئلا أضطرب، وأصرف بصرك عني لئلا ترحمني، وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم

تقطع، فحينئذ جاء الكبش من عند الله، وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية، وتركناه لعدم صحته: {كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين}.

الذهاب في الأرض:

قال ابن العربي: قسم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض قسمين:

هربا وطلبا؛ فالأول ينقسم إلى ستة أقسام:

الأول: الهجرة وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضا في أيام النبي ﷺ، وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي ﷺ حيث كان؛ فإن بقي في دار الحرب عصى؛ ويختلف في حاله.

الثاني: الخروج من أرض البدعة؛ قال ابن القاسم: سمعت مالكا، **يقول:** لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف.

قال ابن العربي: وهذا صحيح؛ فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزل عنه، قال الله تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} إلى قوله {الظَّالِمِينَ}[الأنعام:٦٨].

الثالث: الخروج من أرض غلب عليها الحرام: فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم.

الرابع: الفرار من الأذية في البدن؛ وذلك فضل من الله أرخص فيه، فإذا خشي على نفسه فقد أذن الله في الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور. وأول من فعله إبراهيم عليه السلام؛ فإنه لما خاف من قومه، قال: { إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي}، وقال: { إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}، وقال مخبرا عن موسى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ}[القصص:٢١].

الخامس: خوف المرض في البلاد الوخمة والخروج منها إلى الأرض النزهة. وقد أذن ﷺ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح فيكونوا فيه حتى يصحوا.

وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون؛ فمنع الله سبحانه منه بالحديث الصحيح عن نبيه ﷺ. بيد أن علماءنا، قالوا: هو مكروه.

السادس: الفرار خوف الأذية في المال؛ فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله وأوكد.

قسم الطلب:

وأما قسم الطلب، فينقسم قسمين: طلب دين، وطلب دني:

فأما طلب الدين: فيتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام:

الأول: سفر العبرة؛ **قال الله تعالى:** { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}[الروم:٩]، وهو كثير.

ويقال: إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها.

وقيل: لينفذ الحق فيها.

الثاني: سفر الحج. والأول وإن كان ندبا فهذا فرض.

الثالث: سفر الجهاد وله أحكامه.

الرابع: سفر المعاش؛ فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لا يزيد عليه. من صيد، أو احتطاب، أو احتشاش؛ فهو فرض عليه.

الخامس: سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وذلك جائز بفضل الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ}[البقرة:١٩٨]، يعني التجارة، وهي نعمة من الله بها في سفر الحج، فكيف إذا انفردت.

السادس: في طلب العلم وهو مشهور.

السابع: قصد البقاع؛ قال ﷺ: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)).[1]

---

[1] حديث أبي سعيد: أخرجه البخاري (٦٥٩/٢ ، رقم ١٧٦٥)، وأحمد (٧١/٣ ، رقم ١١٦٩٩).

الثامن: الثغور للرباط بها وتكثير سوادها للذب عنها.

التاسع: زيارة الإخوان في الله تعالى، **قال رسول الله ﷺ:** ((زار رجل أخا له في قرية، فارصد الله له ملكا على مدرجته، **فقال:** أين تريد؟

فقال: أريد أخا لي في هذه القرية.

قال: هل لك من نعمة تربها عليه؟

قال: لا غير أني أحببته في الله ﷻ.

قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)).[1] رواه البخاري في الأدب. **عن وهيب بن الورد، يقول الله تعالى:** ((إني لا أخرج أحدا من الدنيا وأنا أريد أن

وللحديث أطراف منها: "لا تشد المطىء إلى مسجد يذكر الله فيه إلا إلى ثلاثة مساجد" .

[1] **حديث أبي هريرة:** أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"(١/١٢٨، رقم ٣٥٠).

أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما في جسده، ومصيبة في أهله، وضيقا في معاشه، وإقتارا في رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر، فإن بقي عليه شيء شدّدت عليه الموت حتى يفضي إلي كيوم ولدته أمه.

وعزّتي لا أخرج عبدا من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة في جسده، وسعة في رزقه، ورغدا في عيشه، وأمنا في سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر، فإن بقي له شيء هونت عليه الموت حتى يفضي إليّ، وليس له حسنة يتقي بها النار)).[1]

قال في الصحاح: فلان آمن في سربه بالكسر، أي: في نفسه.

---

[1] أنظر: "شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور"، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **تحقيق**: عبد المجيد طعمة حلبي، **الناشر**: دار المعرفة، سنة النشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، لبنان، (١/٣٥).

المثقال: بمعنى: الوزن: أي: أنه سبحانه يحضر الأعمال صغيرها وكبيرها، حسنها وسيئها، وتوزن حتى مثاقيل الذر، فهذه الموازين حقيقة، **وقد وردت في هذه الآية بالجمع:** {ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}[الأعراف:٨]، **ولم يقل:** ميزانه، {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ}[الأنبياء:٤٧]، **ولم يقل:** الميزان، فدل على أن هناك عدداً، وأنها موازين كثيرة، يوزن لهذا ويوزن لهذا.

اختلاف العلماء في الموزون:

اختلفوا في الموزون ما هو على ثلاثة، أقوال:

القول الأول: أن الذي يوزن هي الأعمال، ولو كانت أعراضاً فيقلبها الله تعالى أجساماً ثم توزن؛ لأن الأعراض ليس لها جرم، مثلاً كلمة "الحمد لله"، ليس لها جرم حتى توزن؟! فهي عرض، وكذلك الصلاة، فالصلاة قد أخبر النبي ﷺ بأنها تتجسد، ((إذا صلى الرجل فأحسن صلاته صعدت إلى السماء ولها نور، وتفتح لها أبواب السماء، **وتقول:** حفظك

الله كما حفظتني، وإذا صلى وأساء صلاته صعدت إلى السماء ولها ظلمة، وتغلق دونها أبواب السماء، فتقول: ضيعك الله كما ضيعتني، وتلف كما يلف الثوب الخَلِق، ويضرب بها وجه صاحبها))[1].

هل نحن نبصر الصلاة إذا صعدت؟ لا نبصرها فهي عرض، ولكن الله تعالى يقلب الأعمال أجساماً، فصيامك يكون جسماً وجرماً، وصلواتك وقراءتك وأذكارك وأدعيتك

---

[1] حديث عبادة: أخرجه الطيالسى (ص ٨٠ ، رقم ٥٨٥)، والبيهقى في شعب الإيمان (٣/١٤٣ رقم ٣١٤٠). **قال الهيثمى (٢/١٢٢):** رواه الطبرانى في الكبير والبزار بنحوه، وفيه الأحوص بن حكيم وثقه ابن المدينى والعجلى وضعفه جماعة وبقية رجاله موثقون. وقال المناوى (١/٢٥٠): فيه محمد بن مسلم بن أبى وضاح، **قال في الكاشف:** وثقه جمع وتكلم فيه البخاري، وأحوص بن سليم ضعفه النسائي، **وقال ابن المدينى:** لا يكتب حديثه. **ومن غريب الحديث:** "**الخلق**": البالى.

يقلبها الله أجساماً كما أن هذه الخشبة جسم، وهذه السارية جسم لها جرم ولها وزن، ولكن الكلام ليس له جرم، ولكن يقلبه الله فيجعله ذا جرم، **فلذلك يقول في الحديث**: ((الحمد لله تملأ الميزان))، **ويقول**: ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان))، **وقوله**: ((ثقيلتان))، **يدل على أن كلمة**: ((سبحان الله وبحمده))، توزن، **يعني**: يجعلها الله جرماً، ولا يستعصي ولا يخرج عن قدرة الله شيء، فهو قادر أن يقلب الأعراض أجساماً.

القول الثاني: أن الذي يوزن هو الصحف، وتثقل الصحف وتخف بسبب ما كتب فيها، ودل على ذلك الحديث الذي مر بنا، فإن هذا رجل كتبت عليه الملائكة سيئات كثيرة -تسعة وتسعين سجلاً-.

السجل:

والسجل: هو الصحيفة التي يكتب فيها كالسجلات التي عند القضاة تملأ بالقضايا، **يقال:** سجل في كذا.. السجل رقم كذا.. هذه السجلات تطوى طيًا، ثم إذا نشرت كانت مد البصر، فكان له تسعة وتسعون سجلاً كلها سيئات، **فلما وقف على هذه السجلات سأله الله: هل تنكر شيئاً من هذا؟** فلا ينكر.

يقول: هل ظلمك الكرام الكاتبون الحفظة، وكتبوا عليك ما لم تقل؟ لا يستطيع أن ينكر، ولا **يقول:** ظلموني، **يقول:** هل لك عذر؟ ما له عذر، هل لك حسنة تقابل هذه السجلات وتمحوها، {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}[هود:١١٤]؟.

فيتبهر وينبهت، **ويقول:** لا، ليس لي حسنات. وكأنه أيس من النجاة، وأيقن بالعذاب؛ لكثرة ما كتب عليه، فإنه رأى هذه السيئات التي دونت عليه ولا يستطيع أن ينكرها، **كما أخبر الله عنهم أنهم يقولون:** {مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً

ولا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً}[الكهف:٤٩]، {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً}[آل عمران:٣٠]. **فيقول الله:** بلى لك عندنا حسنة واحدة، تخرج له هذه البطاقة -.

البطاقة:

والبطاقة: الورقة الصغيرة مثل الكف أو نحوه- **مكتوب فيها:** ((لا إله إلا الله محمد رسول الله))، ولكن قالها عن صدق، قالها عن عقيدة، قالها عن يقين، وختمت بها أيامه، وختمت بها أعماله، وخرج من الدنيا وهو على هذه الحسنة التي أثرت فيه وفي قلبه، فلما رأى هذه البطاقة استصغرها بالنسبة إلى هذه السيئات الكثيرة، **فقال:** ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ **فالله تعالى يقول:** إنك لا تظلم، ونصب الميزان الذي له كفتان، وجعلت البطاقة في كفة، وجعلت تلك السجلات في كفة، فعند ذلك طاشت -يعني: خفت-

السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء، فكان ذلك سبباً في سعادته.

ومعلوم أن كثيراً من الذين يقولونها قد يعذبون وقد تخف موازينهم؛ وذلك لأنهم لم يقولوها عن يقين، ولم تؤثر في عقائدهم، ولم تصدر عن قلب مصدق بها؛ فلأجل ذلك تخف موازينهم، أما هذا فقد قالها عن علم وعن يقين وعن إخلاص وعن معرفة وعن تقبل؛ فأثرت في قلبه، ووقعت موقعاً فثقلت موازينه فسعد، ويصدق عليه أنه من الذين ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية.

القول الثالث: أن العامل نفسه يوزن، فالرجل نفسه يوزن، ويثقل إذا كان قلبه ممتلئاً إيماناً، ويخف إذا كان قليل الإيمان، واستدل على ذلك بهذه الآية الكريمة في آخر سورة الكهف، وهي **قول الله تعالى**: {فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً}[الكهف:١٠٥]، **وإن كانت محتملة أن المراد**: لا نقيم

لهم قدراً، ولكن ظاهرها أنهم يوزنون، ولكن لا يكون لهم وزن ظاهر، ويؤيد هذا الحديث الذي فيه: ((يجاء بالرجل العظيم السمين -الأكول الشروب- لا يزن عند الله جناح بعوضة))[1]، لو وزن كان أخف من جناح البعوضة.

وقال الشاعر:

"ترى الرجل النحيف فتزدريه...وفي أثوابه أسد هصور"

"ويعجبك الطرير فتبتليه... فيخلف ظنك الرجل الطرير"

فالمعول عليه دائماً هو الإيمان، فلا تعجب ببدانة شخص، ولا بضخامة جسم شخص، ولا ببهاء شخص، فقد كان أهل النفاق ذوي أجسام حسنة، وذوي هيئات جميلة، وشارات حسنة بهية، قال الله سبحانه: {لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ

[1] حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (١٧٥٩/٤ ، رقم ٤٤٥٢)، ومسلم (٢١٤٧/٤ ، رقم ٢٧٨٥).

أَعْـيُنٌ لا يُبْـصِرُونَ بِهَـا وَلَهُـمْ آذَانٌ لا يَـسْمَعُونَ بِهَـا أُولَئِـكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}[الأعراف:١٧٩]، وقـال تعـالى: { وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ} [المنـافقون:٤]، أي: فعنـدهم ألـسن يـصيغون الكـلام صـياغات، ويتكلفـون الكـلام تكلفات.

وفـي إثبـات المـشاعر الثلاثـة لهـم، ثـم وصـفها بعـدم الـشعور دون سلبها عنهم ابتداء بأن، **يقال:** ليس لهم قلوب يفقهون بهـا، ولا أعـين يبـصرون بهـا، ولا آذان يـسمعون بهـا مـن الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى.

أولئك إشـارة إلـى المـذكورين باعتبـار اتـصافهم بمـا ذكـر مـن الصفات، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم فـي الـــضلال، أي: أولئـــك الموصـــوفون بالأوصـــاف المـــذكورة كالأنعام، أي: في انتفاء الشعور على الوجه المذكور، أو في أن مشاعرهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بل

هم أضل، فإنها تدرك ما من شأنها أن تدركه من المنافع والمضار، فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود. وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار، بل يعكسون الأمر فيتركون النعيم المقيم، ويقدمون على العذاب الخالد، **وقيل:** لأنها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه، وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه.

ولله الأسماء الحسنى: الحمد لله رب العالمين.. يارب.. ارحم ضعفنا، وتولى أمرنا، وأحسن خلاصنا، وفك أسرنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقاك، اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، وارزقنا عند الموت شهادة، وارزقنا بعد الموت جنة ونعيما وملكا كبيرا، آمين، آمين. ابن آدمّ! أطلب بطاعته رضاك، فإنه يُعطى السائلين رضاه، هو أول، هو آخر، هو ظاهر، هو باطن،

ليس العيون تراه. وفي الخبر: ((كل شيء أطوع لله من ابن آدم))،[1] أولئك المنعوتون بما مر من مثلية الأنعام والشرية، منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون؛ لأن يخص بهم الاسم.

ولا يطلق على غيرهم كيف لا وأنهم لا يعرون من شئون الله ﷻ، ولا من شئون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[الشورى:١١]، أصنامهم التي هي من أخس مخلوقاته تعالى، {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ

---

[1] **انظر**: "الكشف والبيان"، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، **دار النشر**: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ط١، **تحقيق**: الإمام أبي محمد بن عاشور، (٤/٣١٠).

يَعْمَلُونَ}[الأعراف: ١٨٠]، تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى، وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه عما يليق به من الأمور، وما لا يليق به إثر بيان غفلتهم التامة، وضلالتهم الطامة، والحسنى تأنيث الأحسن، أي: الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها، فادعوه بها، أي: فسموه بتلك الأسماء.

الإلحاد في أسماء الله تعالى:

قال تعالى: {وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[الأعراف: ١٨٠]، الإلحاد واللحد الميل والانحراف، يقال: لحد وألحد إذا مال عن القصد، وقرئ يلحدون من الثلاثي، أي: يميلون في شأنها عن الحق إلى الباطل، إما بأن يسموه تعالى بما لا توقيف فيه، أو بما يوهم

معنى فاسدا، **كما في قول أهل البدو:** "يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا بخيل، ونحو ذلك.

فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك، وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم، لا أسماؤه تعالى حقيقة، وعلى ذلك يحمل ترك الإضمار بأن، **يقال:** يلحدون فيها، وإما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض أسمائه الكريمة كما، **قالوا:** "وما الرحمن!؟ ما نعرف سوى رحمان اليمامة"، فالمراد بالترك الاجتناب أيضا وبالأسماء أسماؤه تعالى حقيقة، فالمعنى سموه تعالى بجميع أسمائه الحسنى.

واجتنبوا إخراج بعضها من البين، وإما بأن يطلقوها على غيره تعالى، كما سموا أصنامهم آلهة، وإما بأن يشتقوا من بعضها أسماء أصنامهم، كما اشتقوا اللات من الله تعالى، والعزى من العزيز.

فالمراد بالأسماء أسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني، والإظهار في موقع الإضمار مع التجريد عن الوصف في الكل؛ للإيذان بأن إلحادهم في نفس الأسماء من غير اعتبار الوصف، وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك، إذ لا يتوهم صدور مثل هذا الإلحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه، بل هو الإعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب، **كما هو المتبادر من قوله تعالى:** {سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[الأعراف: ١٨٠].

فإنه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الأمر بعدم المبالاة، والإعراض عن المجازاة كأنه، **قيل:** لم لا نبالي بإلحادهم، ولا نتصدى لمجازاتهم، فقيل: لأنه ينزل بهم عقوبته، وتتشفون بذلك عن قريب.

وأما على الوجهين الأولين: فالمعنى اجتنبوا إلحادهم كيلا يصيبكم ما أصابهم، فإنه سينزل بهم عقوبة إلحادهم: {وَمِمَّنْ

خلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُون بِالْحقِّ وبه يَعْدِلُون}[الأعراف:١٨١]، بيان إجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والإلحاد عن الحق، ومحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ، إما باعتبار مضمونه، أو بتقدير الموصوف وما بعده خبره، أي: وبعض من خلقنا.

أو وبعض ممن خلقنا أمة، أي: طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق، أو يهدونهم بكلمة الحق، ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي ﷺ.

أنه كان يقول: إذا قرأها هذه لكم، وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها، ومن قوم موسى أمة الآية، **وعنه عليه الصلاة والسلام**: ((إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى))[1].

---

[1] أنظر: "كنز العمال"(٢/٤١٤).

وروي: ((لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله))[1].

وروي: ((لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى، وهم ظاهرون))[2].

وهذا دليل على أن العامل يوزن، وأنه يثقل إذا كان تقياً كما في قصة ابن مسعود رضي الله عنه حين صعد مرة على شجرة الأراك ليقطع منها سواكاً، ولما صعد رآه بعض الصحابة وعجبوا من دقة ساقية، فجعلوا يضحكون من دقة

---

(١) أنظر: "تذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار"، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، سنة الولادة ٢٢٤هـ/ سنة الوفاة ٣١٠هـ، **تحقيق:** محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

(٢) **حديث خالد بن الحارث:** أخرجه أحمد (١٠١/٤ ، رقم ١٦٩٧٤) ، وأبو يعلى (٣٧٥/١٣ ، رقم ٧٣٨٣) ، وابن عساكر (٢٦١/١).

ساقيه، **فقال النبي ﷺ**: ((لهما في الميزان أثقل من جبل أحد))[١]، فدلَّ على أن العامل نفسه يوزن؛ فيثقل إذا كان من أهل السعادة، ويخف إذا كان من أهل الشقاوة.

والوزن يكون بعد الحساب، يبدأ أولاً بالحساب؛ وذلك بأن، **يقال**: حاسب نفسك، هذه صحائفك، هذه حسنة، وهذه سيئة قابل بينهما، وبعدما يحاسب ويقر بما له وبما عليه، بعد ذلك توزن هذه الأعمال حتى يعرف مقدارها، وحتى يحقق في أمرها.

وإذا وزنت عرف من يستحق أن يكون سعيداً لكون حسناته ثقيلة، ومن يكون بخلاف ذلك؛ لأن الحساب إنما هو لتمييز الحسنات من السيئات، ولكن الميزان يميز الحسنات، فتكون الحسنات كثيرة وخفيفة، وتكون قليلة وثقيلة، كصاحب

---

[١] **أنظر**: "سلسلة التفسير لمصطفى العدوي"، للشيخ مصطفى بن العدوى شلباية المصري.

البطاقة. قد يكون هناك إنسان له أذكار وأوراد وأدعية وقراءات كثيرة، ولكنها خفيفة، وآخر أذكاره قليلة، ولكنها ثقيلة؛ بسبب صدورها عن الإيمان الراسخ المتمكن في القلب.

والميزان للإنس والجن سواء، وليس خاصاً بالإنس وحدهم، والسبب في ذلك إذا ذكرنا الحكمة من الوزن يتبين أن من الحكمة إظهار عدل الله تعالى، وأنه لا يظلم عنده أحد أبداً، **والله قد قال:** ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧].

ومثاقيل الذر: تعملها تجدها أمام عينيك، وعلى العكس أن مثاقيل الذر من الشر ستجدها أمام عينيك لن تظلم إطلاقاً، مما يدل على أن هذا الخطاب للإنس وللجن سواء، والله سبحانه وتعالى هو العدل الحكم سبحانه، وإن لم يحدث لكن بإقامة الحجة على الناس.

والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل: تحقيقا لتمام العدل؛ وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور

فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله، وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله.

والصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعرة، تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوي بهم إلى النار، وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار.

يحشر الناس حفاة عراة:

عن عطاء بن يسار عن أم سلمة، قالت سمعت النبي ﷺ، يقول: ((يحشر الناس حفاة عراة كما بدءوا)).

قالت أم سلمة: وا سوأتاه يا رسول الله!

هل ينظر بعضنا إلى بعض؟

قال: ((يشغل الناس))، **فقلت:** وما يشغلهم يا رسول الله؟ **فقال:** ((نشر الصحف فيها مثاقيل الذر، ومثاقيل

الخردل))[1]. **عن المعتمر ابن سليمان عن أبيه، قال: سمعت سيار الشامي، قال:** ((يخرجون من القبور وكلهم مذعورون، **قال: فيناديهم منادي**: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون.

فيطمع فيها الخلق كلهم فيتبعها: الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين.

فييأس منها الخلق غير أهل الإسلام)). وروي من حديث أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها أيضا، **ولفظه:** ((يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق، وبلغ شحوم الآذان))، **قالت: فقلت**: يبصر بعضنا بعضا؟ **فقال: شغل**

---

[1] **أنظر**: "تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"، **تأليف**: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، دار النشر: دار ابن خزيمة – الرياض – ١٤١٤هـ، ط١. **تحقيق**: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، (٤/١٦٣).

الناس: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}[عبس:٣٧]، رواه الطبراني ورواته ثقات.[1]

اختلاف الناس في البعث:

الأول: اختلف الناس هل البعث إعادة بعد تفريق، أو إيجاد معدوم؟

قال عكرمة رحمه الله: إن الذين يغرقون في البحر وتقتسم لحومهم الحيتان، ولا يبقى منهم شيء إلا العظام فتلقيها الأمواج إلى الساحل، فتمكث حينا ثم تصير نخرة، ثم تمر بها الإبل فتأكلها، ثم تسير الإبل فتبعر، ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه، ثم تخمد تلك النار

---

[1] **حديث سودة:** أخرجه الطبرانى (٣٤/٢٤ ، رقم ٩١). **قال الهيثمى** (٣٣٣/١٠): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عباس وهو ثقة. والحاكم (٥٥٩/٢ ، رقم ٣٨٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم، وابن أبى عاصم في الآحاد والمثانى (٤١٦/٥، رقم ٣٠٦٦).

فتجيء الريح فتلقي ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءت النفخة فإذا هم قيام ينظرون، يخرج أولئك وأهل القبور سواء.

قال العلامة الشيخ مرعي رحمه الله تعالى: قال العلماء: إن الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع، وحيوانات الماء، وبطن الأرض، وما أصاب النيران منها بالحرق، والمياه بالغرق، وما أبلته الشمس، وذرته الرياح، فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها، ولم يبق إلا الأرواح نفخ إسرافيل عليه السلام، في الصور فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح إلى جسدها فإذا هم قيام ينظرون.

والحاصل أن إعادة الأجسام حق يجب الإيمان به، ثم هذه الإعادة هل هي للعدم المحض، أو التفريق المحض، المشهور أنه جمع متفرق، والأصح أنه إيجاد بعد عدم، ونص عليه علماء السنة، وهو مذهب المحققين، وبالله التوفيق.

الثاني: اختلف في إعادة الأعراض التي كانت قائمة بالأجسام في الدنيا، فمذهب الأكثرين أنها تعاد بأشخاصها التي كانت قائمة بالجسم حال الحياة، وإليه ميل أبي الحسن الأشعري من غير فرق فيها بين الأعراض التي يطول بقاء نوعها كالبياض وبين غيرها كالأصوات، وسواء كان مقدورا للعبد كالضرب، أو لا كالعلم والجهل؛ لأن نسبتها إلى قدرته تعالى كنسبة الأعيان.

وقد قام الدليل على إعادتها فكذا أعراضها، وما قيل يلزم عليه قيام العرض، يعني الإعادة بالعرض المعاد، وهو محال، فباطل لإمكان تعلق الإعادة بالأعيان أولا، وبالذات وبالأعراض ثانيا وبالعرض، هذا كله أن لو قلنا باستحالة قيام العرض بالعرض، فكيف ونحن بمعزل عن ذلك، وقد شاهدنا قيام العرض بالعرض بالمحسوس وغيره كليل حالك، وحركة بطيئة، وأحمر قان، وغير ذلك.

وقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء من آخرهم الشيخ مرعي، وغيره عن أهل السنة: أن الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها، والله أعلم.

النفخ في الصور:

وأما النفخ في الصور، فالمراد به نفخة البعث والنشور، **واعلم أن النفخ في الصور ثلاث نفخات:**

الأولى: نفخة الفزع: وهي التي يتغير بها هذا العالم، ويفسد نظامه، **وهي المشار إليها في قوله تعالى:** {وَمَا يَنْظُرُ هؤلاء إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ}[ص:١٥]، أي: من رجوع ومرد، **وقوله تعالى:** {نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ }[الزمر:٦٨]، فسر الزمخشري في كشافه المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة، **وهم:** جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وقيل غير ذلك.

وإنما يحصل الفزع لشدة ما يقع من هول تلك النفخة، فعن أبي هريرة ﷺ، **قال:** حدثنا رسول الله ﷺ: ((أن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر)). **قلت:** يا رسول الله وما الصور؟ **قال:** ((القرن)). **قلت:** أي شيء هو؟ **قال:** ((عظيم، إن عظم دارة فيه كعرض السماوات والأرض، **فينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى:** نفخة الفزع. **والثانية:** نفخة الصعق. **والثالثة:** نفخة القيام لرب العالمين، فيأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع، فينفخ فيفزع أهل السماء والأرض إلا من شاء الله، فيأمره فيمدها، ويطيلها، ولا يفتر، وهي التي **يقول الله تعالى:** {وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ}[ص:١٥]، فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا.

وترتج الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج، وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح، **وهي التي يقول الله:** ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[النازعات:٦-٧]، فتميل الأرض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا، **وهو الذي يقول الله تعالى:** ﴿يَوْمَ التَّنَادِ(٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[غافر:٣٢-٣٣]. فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض، فانصدعت من قطر إلى قطر، فرأوا أمرا عظيما ثم نظروا إلى السماء، فإذا هي كالمهل ثم انشقت، فانتثرت نجومها، وانخسفت شمسها وقمرها، **قال رسول الله** ﷺ: والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك)).

قلت: يا رسول الله من استثنى الله تعالى في قوله: { إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ}[الزمر:٦٨].

قال: { أولئك الشهداء، وإنما يتصل الفزع إلى الأحياء، وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم، وآمنهم منه.

وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه، يقول الله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}[الحج:١-٢]، فيمكثون في ذلك ما شاء الله)).[١]عن أبي بن كعب ﷺ، قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه

---

[١] أخرجه البوصيري في "اتحاف الخيرة"(١٤٧/٨، رقم ٧٦٧٩).

الأرض فتحركت واضطربت، وفزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحش، وماج بعضهم في بعض، فذلك قوله: { وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ(٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}[التكوير:٥-٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أوقدت فصارت نارا تضرم.

قال أبي: قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وانشقت السماء انشقاقة واحدة إلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم.

النفخة الثانية: نفخة الصعق، وفيها هلاك كل شيء، **قال تعالى:** {وَنُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ }[الزمر:٦٨]، وقد فسر الصعق

بـالموت، وفـي الحـديث المتقـدم الـذي رواه ابـن جريـر، ومـا عطـف عليـه مـن حـديث أبـى هريـرة ﷺ، قـال رسـول الله ﷺ: ((ثـم يـأمر الله إسـرافيل فيـنفخ نفخـة الـصعق فيـصعق أهـل الـسماوات والأرض إلا مـن شـاء الله، **فيقـول الله وهـو أعلـم:** فمـن بقـي؟ **فيقـول:** أي رب بقيـت أنـت الحـي القيـوم الـذي لا يمـوت، وبقيـت حملـة العرش، وبقـي جبريل، وميكائيل، وبقيت أنـا، **فيقـول الله تعـالى:** فليمـت جبريـل وميكائيـل فيموتـان، ثـم يـأتي ملـك المـوت إلـى الجبـار، **فيقـول:** قـد مـات جبريـل وميكائيل، **فيقـول الله تعـالى:** فليمت حملـة العرش، فيموتون، ويـأمر الله العرش أن يقبض الـصور من إسـرافيل، فيموت ثـم يـأتي ملـك المـوت إلـى الجبـار، **فيقـول:** ربـي قـد مـات حملـة العرش، **فيقول وهو أعلم:** فمن بقي؟ **فيقول:** أنـت الحـي الـذي لا يمـوت، وبقيت أنـا، **فيقول:** أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت، فيموت، فـإذا لـم يبـق إلا الله الواحـد القهـار طـوى

السماء والأرض كطي السجل للكتب، وقال: أنا الجبار، {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ}، ثلاث مرات، فلم يجبه أحد، ثم يقول لنفسه: {لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[غافر:١٦]، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات، فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم لا ترى فيها عوجا، ولا أمتا)).[١]

دعاء:

أيها الناس! اتقوا الله واعلموا أن الجزاء واقع والمنتقم من العصاة هو الجبار، فحذارِ من سطوة الغضب حذار، أعَلَى السرائر تلفق الأعذار.

فالبدار البدار، فقد ذهبت الغفلات بالأعمار، ما أبقت النصائح لبساً وهل يخفى النهار، فالنجاء النجاء في مهلة الأنظار، واللّجأ اللجأ قبل أن يقال العثار، يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، وتكشف الأسرار، يوم يجاء

---

[١] انظر: "مسند إسحاق بن راهويه"(١/٨٤، رقم ١٠).

بالظالم والظلم يومئذ عار ونار، يوم يقضي الله بين خلقه بعلمه لا بالبينة ولا بالاستظهار.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

قال تعالى: { وأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا }[الكهف: ٨٠-٨١]. **قال الإمام السيوطي:** وأما لجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحتهما كنزا لهما، وكان أبوهما صالحا، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك، وما فعلته عن أمري، أي: ما فعلته عن نفسي، ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا، فكان ابن عباس، **يقول:** "ما كان الكنز إلا علما".

وقال زكريا عليه السلام: {كهيعص(١) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا (٣) قَالَ ربِّ إِنِّي وهَنَ الْعظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وكَانَت امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يرِثُنِي ويرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا}[مريم:١-٧].

قال السيوطي: ذكره الله برحمته منه حيث دعاه إذ نادى ربه نداء خفيا، **يعني:** دعا ربه دعاء خفيا في الليل لا يسمع أحدا، أو يسمع أذنيه، **فقال:** رب إني وهن العظم مني يعني ضعف العظم مني، واشتعل الرأس شيبا يعني غلب البياض السواد، ولم أكن بدعائك رب شقيا، أي: لم أدعك قط فخيبتني فيما مضى فتخيبني فيما بقي، فكما لم أشق بدعائي فيما مضى، فكذلك لا أشقى فيما بقي عودتني الإجابة من نفسك،

وإنـي خفـت المـوالي مـن ورائـي فلـم يبـق لـي وارث، وخفـت العصبة أن ترثني، فهب لـي من لدنك وليا يعني من عندك، وليـا يرثـي، **يعنــي**: يـرث محرابـي وعـصاي وبـرنس العريـان، وقلمـي الـذي أكتـب بـه الـوحي، ويـرث مـن آل يعقـوب النبـوة، واجعلــه رب رضــيا يعنـــي مرضــيا عنــدك زاكيــا بالعمــل، فاستجاب الله له فكان قد دخل في السن هو وامرأته.

فبينا هو قائم يصلي في المحراب حيث يذبح القربان، إذا هو برجل عليه البياض حياله وهو جبريل، **فقال**: يا زكريا إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى هو اسم من أسماء الله، اشتق من حـي سـماه الله فـوق عرشـه، لـم نجعـل لـه مـن قبـل سـميا، لـم يجعل لزكريا من قبل يحيى ولد لـه، هل تعلم له سميا، **يعنـي**: هـل تعلـم لـه ولـدا، ولـم يكـن لزكريـا قبلـه ولـد، ولـم يكـن قبـل يحيى أحد يسمى يحيى. قال: وكـان اسمه حيا فلما وهب الله لسارة إسحق فكان اسمها يسارة، ويـسارة **مـن النـساء التـي لا**

تلد وسارة من النساء: الطالقة الرحم التي تلد فسماها الله سارة، وحول الياء من سارة إلى حي فسماه يحيى، **فقال:** رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا خاف أنها لا تلد.
قال: كذلك قال ربك يا زكريا هو علي هين، وقد خلقتك من قبل أن أهب لك يحيى ولم تك شيئا، وكذلك أقدر على أن أخلق من الكبير والعاقر، وذلك أن إبليس أتاه، **فقال:** يا زكريا دعاؤك كان خفيا فأجبت بصوت رفيع وبشرت بصوت عال، ذلك صوت من الشيطان ليس من جبريل ولا من ربك. **قال:** رب اجعل لي آية حتى أعرف أن هذه البشرى منك، **قال:** آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال، يعني، صحيحا من غير خرس، فحاضت زوجته، فلما طهرت طاف عليها فاستحملت فأصبح لا يتكلم، وكان إذا أراد التسبيح والصلاة أطلق الله لسانه، فإذا أراد أن يكلم الناس أعتقل لسانه فلا يستطيع أن يتكلم، وكانت عقوبة له؛ لأنه بشر بالولد، **فقال:** أنى يكون

لي غلام فخاف أن يكون الصوت من غير الله، فخرج على قومه من المحراب يعني من مصلاه الذي كان يصلي فيه، فأوحى إليهم بكتاب كتبه بيده أن سبحوا بكرة عشيا، **يعني:** صلوا صلاة الغداة والعصر فولد له يحيى على ما بشره الله نبيا تقيا صالحا.

يا يحيى خذ الكتاب بقوة، **يعني:** بجد وطاعة واجتهاد وشكر، وبالعمل بما فيه، وآتيناه الحكم، **يعني:** الفهم صبيا صغيرا، وذلك أنه مر على صبية أتراب له يلعبون على شاطئ نهر بطين وبماء، **فقالوا:** يا يحيى تعال حتى نلعب، **فقال:** سبحان الله! أو للعب خلقنا؟! وحنانا، **يعني:** ورحمة منا وعطفا وزكاة يعني وصدقة على زكريا، وكان تقيا، **يعني:** مطهرا مطيعا لله وبرا بوالديه كان لا يعصيهما، ولم يكن جبارا، **يعني:** قتال النفس التي حرم الله قتلها عصيا، **يعني:** عاصيا لربه، وسلام عليه، **يعني:** حين سلم الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم

يبعث حيا. **عن أبي هريرة** ﷺ، **قال:** قال رسول الله ﷺ: ((إذا **مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة:** إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)).[1]

ولذلك فإنَّ أعمال الأحياء تُعرض على الأموات كل يوم، ويدعوا الأموات من أقارب الأحياء المولى عز وجل أن لا يوميتهم على المعاصي، ويستغفرون الله لهم.

عن ابن عباس ﷺ، **قال: قال رسول الله** ﷺ: ((إن صدقة السر تطفئ غضب الرب، وإن صلة الرحم تزيد في العمر، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وإن قول لا إله إلا

---

[1] **حديث أبي هريرة:** أخرجه أحمد (٢/٣٧٢ ، رقم ٨٨٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (١/٢٨ ، رقم ٣٨)، ومسلم (٣/١٢٥٥ ، رقم ١٦٣١)، وأبو داود (٣/١١٧ ، رقم ٢٨٨٠)، والترمذي (٣/٦٦٠ ، رقم ١٣٧٦)، **وقال:** حسن صحيح. وابن ماجه (١/٨٨ ، رقم ٢٤٢)، والنسائي (٦/٢٥١ ، رقم ٣٦٥١).

الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين بابا من البلاء أدناها الهم))[1].

إذا نزل القضاء من السماء فتقابله الصدقة، وهو نازل من السماء فيتدافعان، فتمنع البلاء، عن **عن حارثة بن وهب** ﷺ، **قال: قال رسول الله** ﷺ: ((تصدقوا فسيأتي عليكم زمان يمشى الرجل بصدقته، **فيقول الذي يأتيه بها**: لو جئت بها بالأمس لقبلتها، فأما الآن فلا حاجة لي فيها، فلا يجد من يقبلها))[2].

---

[1] **حديث ابن عباس**: أخرجه ابن عساكر (١٧٢/١٧)، والرافعى (٤٢٩/١).

[2] **حديث حارثة بن وهب**: أخرجه الطيالسى (ص ١٧٤ ، رقم ١٢٣٩)، وأحمد (٣٠٦/٤ ، رقم ١٨٧٤٨)، والبخاري (٥١٢/٢ ، رقم ١٣٤٥)، ومسلم (٧٠٠/٢ ، رقم ١٠١١)، والنسائي في الكبرى (٤٠/٢ ، رقم ٢٣٣٦)، وابن حبان (٧٠/١٥ ، رقم ٦٦٧٨)، والطبراني (٢٣٦/٣ ، رقم ٣٢٥٩)، وابن أبى شيبة (٣٥١/٢ ، رقم ٩٨١١)،

قال تعالى: {مَا عِندَكُمْ ينفدُ وما عِند اللّهِ باقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِين صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[النحل:٩٦-٩٧]. **قال القرطبي: المراد بقوله:** {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ}، فبين الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفد وتحول، وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفي بالعهد وثبت على العقد. **ولقد أحسن من قال:**

"المال ينفد حله وحرامه .... يوما وتبقى في غد آثامه"

"ليس التقي بمتق لإلهه ... حتى يطيب شرابه وطعامه"

وعبد بن حميد (ص ١٧٤ ، رقم ٤٧٨)، وأبو يعلى (٥٢/٣ ، رقم ١٤٧٥).

وللحديث أطراف أخرى منها: "حصنوا أموالكم بالزكاة"، "داووا مرضاكم بالصدقة" .

وقال آخر:

"هب الدنيا تساق إليك عفوا... أليس مصير ذاك إلى انتقال"

"وما دنياك إلا مثل فيء .... أظلك ثم آذن بالزوال"

قوله تعالى: {وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا}، أي: على الإسلام والطاعات وعن المعاصي. { أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون}، أي: من الطاعات، وجعلها أحسن لأن ما عداها من الحسن مباح، والجزاء إنما يكون على الطاعات من حيث الوعد من الله. **قوله تعالى:** {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}، شرط وجوابه.

الحياة الطيبة:

وفي الحياة الطيبة خمسة أقوال:

الأول: أنه الرزق الحلال؛ قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعطاء، والضحاك. **الثاني:** القناعة؛ قاله الحسن البصري، وزيد بن وهب، ووهب بن منبه، ورواه الحكم عن عكرمة عن

ابن عباس، وهو قول علي بن أبي طالب ﷺ. **الثالث:** توفيقه إلى الطاعات فإنها تؤديه إلى رضوان الله؛ قال معناه الضحاك.

وقال أيضا: من عمل صالحا وهو مؤمن في فاقة وميسرة فحياته طيبة، ومن أعرض عن ذكر الله ولم يؤمن بربه ولا عمل صالحا فمعيشته ضنك لا خير فيها.

وقال مجاهد وقتادة وابن زيد: هي الجنة، وقاله الحسن، **وقال:** لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة.

وقيل: هي السعادة، روي عن ابن عباس أيضا.

وقال أبو بكر الوراق: هي حلاوة الطاعة.

وقال سهل بن عبد الله التستري: هي أن ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره إلى الحق.

وقال جعفر الصادق: هي المعرفة بالله، وصدق المقام بين يدي الله. **وقيل:** الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق.

وقيل: الرضا بالقضاء.

وقوله: {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ}، أي: في الآخرة.

وقال: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ}، ثم قال: {ولنجزينهم}؛ لأن "من" يصلح للواحد والجمع، فأعاد مرة على اللفظ ومرة على المعنى.

وقال أبو صالح: جلس ناس من أهل التوراة وناس من أهل الإنجيل وناس من أهل الأوثان، فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء: نحن أفضل؛ فنزلت.

عن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب هل في خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالت: يا رب فهل في خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار. قالت: يا رب فهل في خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء. قالت: يا رب فهل في خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم

الريح. **قالت**: يا رب فهل في خلقك شيء أشد من الريح؟ **قال**: نعم ابن آدم تصدق بيمينه ويخفيها من شماله)).[1]

عن عمر ﷺ، **قال**: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه، **فقال النبي صلى الله عليه وسلم**: ما عندي شيء، ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك، **فقال عمر**: يا رسول الله هذا أعطيته ما عندك فما كلفك ما لا تقدر عليه، فكره النبي صلى الله عليه وسلم قول عمر حتى عرف في وجهه، **فقال رجل من الأنصار**: يا رسول الله

---

[1] **حديث أنس**: أخرجه أحمد (١٢٤/٣ ، رقم ١٢٢٧٥) ، وعبد بن حميد (ص ٣٦٥ ، رقم ١٢١٥) ، والترمذي (٤٥٤/٥ ، رقم ٣٣٦٩) **وقال**: غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وأبو يعلى (٢٨٦/٧ ، رقم ٤٣١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٤/٣ ، رقم ٣٤٤١)، وأبو الشيخ في العظمة (١٣٥٣/٤ ، رقم ٨٧٢٧٦)، والضياء (١٥٢/٦ ، رقم ٢١٤٨).

ومن غريب الحديث: "تميد": تتحرك وتضطرب.

أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف البشر في وجهه بقول الأنصاري، **ثم قال:** ((بهذا أمرت)).[1]

فالمساكين كثير، وأغنياؤنا بخلاء، موفرون، يا معشر السادة، **قال الله تبارك وتعالى:** { وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا(١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}[الإسراء:١٦-١٧]. **الله إني أسألك وأتوجه إليك:** أن تغفر لنا ذنوبنا، وتفرج كربنا، وأن تستر عيوبنا، وأن

---

[1] **حديث عمر:** أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (١/٢٩٤ ، رقم ٣٥٦)، والبزار (١/٣٩٦ ، رقم ٢٧٣)، والضياء (١/١٨٠ ، رقم ٨٨). **قال الهيثمى** (١٠/٢٤٢): رواه البزار، وفيه إسحاق بن إبراهيم الحنينى وقد ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان، وقال: يخطئ.

تتولى أمرنا، وأن تحسن خلاصنا، اللهم اشف كل مريض، اللهم ارحم كل ميِّت.

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدي وحبيب قلبيي، محمد طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها.

دعاء:

يا رب اجعل أول هذا اليوم صلاحا، وأوسطه فلاحا، وآخره نجاحا، وأسمعنا فيه ما يسرُّ نفوسنا، وثبِّت علينا ديننا وعقولنا. اللهم يسر الامتحانات على أولادنا، اللهم كن معهم وقت النسيان فذكرهم، وكن معهم وقت السؤال فأغثهم، واشرح صدورهم، ويسِّر أمورهم، واحلل العقدة من ألسنتهم.

إذا كان يوم القيامة، إذا ما بلغت القلوب الحناجر، {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}[عبس:٣٤-٣٧].

قولـه تعـالى: {يَـوْمَ يَفِـرُّ الْمَرْءُ مِـنْ أَخِيـهِ}، أي: يهـرب، أي: تجيء الصاخة في هذا اليوم الذي يهرب فيه من أخيه؛ أي: مـن مـوالاة أخيـه ومكالمتـه؛ لأنـه لا يتفـرغ لـذلك، لاشـتغاله بنفسه؛ كما **قـال بعـده:** {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}، **أي:** يشغله عن غيره.

وقيـل: إنمـا يفـر حـذرا مـن مطـالبتهم إيـاه، لمـا بيـنهم مـن التبعات. **وقيل:** لئلا يروا ما هو فيه من الشدة. **وقيل:** لعلمه أنهم لا ينفعونـه ولا يغنـون عنـه شيئا؛ **كمـا قـال:** {يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً}. **وقال عبد الله بن طاهر الأبهري:** يفر منهم لما تبين لـه مـن عجـزهم وقلـة حيلتهم، إلـى من يملـك كشف تلك الكروب والهموم عنه، ولو ظهر لـه ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئا سوى ربه تعالى.

وذكـر الضـحاك عـن ابـن عباس، **قـال:** يفـر قابيـل مـن أخيـه هابيل، ويفر النبي ﷺ من أمـه، وإبراهيم عليه السلام من أبيـه، ونـوح

عليه السلام من ابنه، ولوط عليه السلام من امرأته، وآدم عليه السلام من سوأة بنيه.

وقال الحسن: أول من يفر يوم القيامة من، أبيه: إبراهيم، وأول من يفر من ابنه نوح؛ وأول من يفر من امرأته لوط. قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم وهذا فرار التبرؤ. {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}. **قال عطاء الخراساني:** "مسفرة" من طول ما اغبرت في سبيل الله جل ثناؤه. ذكره أبو نعيم، **والضحاك:** من آثار الوضوء.

قال جابر رضي الله عنه: من قيام الليل؛ **لما روي في الحديث:** ((من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار))،[1] **يقال:** أسفر الصبح إذا أضاء.

---

[1] **حديث جابر:** أخرجه ابن ماجه (٤٢٢/١ ، رقم ١٣٣٣)، **قال البوصيرى** (١٥٧/١): هذا حديث ضعيف. والعقيلى (١٧٦/١ ، ترجمة ٢٢١)، والبيهقى في شعب الإيمان (١٢٩/٣ ، رقم ٣٠٩٥)، وابن

{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاس سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}[الحج:٢].

عن أنس بن مالك ﷺ، **قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((- يُنادي مالك الملك الملائكة-: **يقول الله**: أخرجوا من النار من ذكرني، أو خافني مقام)).[١]

"يا رب هذه ذنوبي في الورى كثرت...وليس لي عمل في الحشر والدين"

"وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه حب النبي...وهذا القدر يكفيني"

يقول لنا سيد الخلق محمد ﷺ: ((من قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا

عدى (٦/٣٤٧ ، ترجمة ١٨٢٩ موسى بن محمد بن عطاء)، والقضاعى (١/٢٥٣ ، رقم ٤٠٩)، والديلمى (٣/٥٠١ ، رقم ٥٥٥٠).

[١] أخرجه الحاكم في "مستدركه"(١/ص١٤٢، ح٢٣٥).

بـالله. **قـال الله:** أسـلم عبـدى واسـتسلم)).[1]استـسلم لأمـر الله، استسلم لعظمـة الله.

فضل هذه الكلمـة العظيمـة: ((لا حـول ولا قوة إلا بـالله)): **قـال النـووي:** "هـي كلمـة استـسلام وتفـويض ، وأن العبـد لا يملـك من أمره شيئاً، وليس لـه حيلـة فـي دفـع شرٍّ، ولا قـوة فـي جلـب خير، إلا بـإرادة الله تعـالى. **ولـذلك يـشرع أن تقـال عنـد قـول المؤذن:** حـي علـى الصـلاة، حـي علـى الفـلاح.

قـال ابـن القـيم: "وسـمعت شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة يـذكر أثـراً فـي هـذا البـاب، **يقـول:** إن الملائكـة لمـا أمـروا بحمـل العـرش، **قـالوا:** يـا ربنـا كيـف نحمـل عرشـك وعليـه عظمتـك وجلالـك؟ **فقال:** قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما قالوها حملوه".

---

[1] **حـديث أبـي هريـرة:** أخرجـه الحـاكم (١/٦٨١ ، رقـم ١٨٥٠) **وقـال:** صحيح الإسناد.

ثم قال ابن القيم: "وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمُل المشاق، والدخول على الملوك، ومن يخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضاً تأثير عجيب في دفع الفقر".

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وليست هذه الكلمة كلمة استرجاع كما يفعله كثير من الناس إذا، **قيل له:** حصلت المصيبة الفلانية، **قال:** لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن كلمة الاسترجاع أن، **يقول:** إنا لله وإنا إليه راجعون، أما هذه الكلمة فهي كلمة استعانة، إذا أردت أن يعينك الله على شيء، **فقل:** لا حول ولا قوة إلا بالله".

واستحباب الإكثار من هذه الكلمة؛ لأنها كما سبق يعني الاستسلام والتفويض لله. **وفضل ذكر الله:** أنه يعطي العبد قوة في أموره وإعانة. يا سيدي يا رسول الله، يا حبيب الله، أشهد أنك بلغت الرسالة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة،

ومحوت الظلمة، وجاهدت في الله حق جهاده، فجزاك الله خير ما جزي نبياً عن أمته، ورسولاً عن قومه، وأفضل على كل ما هو له أهل. يا سيدي يا رسول الله، يا حبيب الله. صبرت على البلاء، وتحمَّلت الضُر، وشكرت في الرخاء، فجزاك الله خيرًا يا سيدي يا أبا القاسم يا رسول الله، خير ما جزي نبي عن أمته. صلى الله عليك يا علم الهدى، ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم، لا إله إلا الله أخلو بها وحدي، لا إله إلا الله أختم بها عمري، لا إله إلا الله يغفر بها ذنبي، لا إله إلا الله أدخل بها قبري، لا إله إلا الله ألقى بها ربي.

قال تعالى: { وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ}[ص:٤١]، **واذكر عبدنا أيوب: أي:** اذكر يا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبدنا أيوب بن عيصو بن إسحق بن إبراهيم.

أيها الأخوة الأعزاء كيف مس نبينا أيوب عليه السلام؟

فأنني أصير بحضرتكم الآن إلى بيت نبي الله أيوب: السلام عليك يا نبي الله، نحن وفد من ورثة محمد رسول الله ﷺ، جئنا لزيارتك في بيتك؛ لنعلم كيف مسَّك الشيطان بنصبٍ وعذاب.

أيوب جبل من جبال الصبر، أيوب ظلّ مريضًا ثمانية عشر عامًا، لا يقوى على القيام من الأرض، كأن بينه وبين الأرض مغناطيسية شديدة الجذب.

ثمانية عشر عاما يا أيوب، وأنت مريض.

وقالت له زوجته ذات يوم: ألا تدعو الله أن يشفيك؟!

فماذا قال لها: الزوجة الوفيَّة الأمينة الصادقة، ترجو أيوب أن يدعو ربه بالشفاء.

فيسألها أيوب: يا زوجتي! كم سنة مضت عليّ وأنا صحيح الجسم. **فتقول له:** سبعون عاما.

ويقول لها: وكم سنة مضت عليَّ وأنا مريض؟

فتقول له: ثمانية عشر عاما.

فيقول لها: أستحي من الله أن أطلب الشفاء قبل أن يمرّ عليَّ سبعون عاما وأنا مريض، كما مرَّ عليَّ سبعون عاما وأنا صحيح، وأستحي من الله أن أسأله الشفاء.

فما بلاؤه: لو كان البلاء في المال لهان الأمر، فالمال غاد ورائح، والدنيا إذا حلت أوحلت، وإذا كست أوكست، وإذا أينعت نعت، وإذا أوجفت جفت، وكم من ملك رفعت له علامات، فلما علا مات.

لو كانت المسألة بلاء في الدنيا لهان الخطب:

"النفس تجزع أن تكون فقيرة..........والفقر خير من غنا يُقضيها"

"وإلى النفوس هو الكفاف...فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها"

"وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها...هل راح منها بغير القطن والكفن"

لو كان البلاء في المال لهان البلاء، لكن بلاء أيوب كان في ثلاثة أشياء:

- كان في صحته فلزم الفراش.
- وكانت في ماله ففقد المال كله.
- وكانت في أولاده فماتت أولاده أجمعون.

فلو كان البلاء في المال فالمال ظل زائل، وعارية مسترجعة:

"أرأيت الناس قد مالوا إلى ما عنده مال.... ومن لا عنده مال فعنه الناس قد مالوا"

"أرأيت الناس قد ذهبوا إلى ما عنده ذهب...ومن لا عنده ذهب فعنه الناس قد ذهبوا" "أرأيت الناس منفضة إلى ما عنده فضة...ومن لا عنده فضة فعنه الناس منفضة"

لكن البلاء شمل عناصر ثلاثة:

- شمل المال.
- وشمل الأولاد.
- وزاد البلاء شدَّة؛ لأنه شمل الصحة أيضًا، والصحة تستطيع أن تُعوض المال مع الصبر، ولكن البلاء شمل الأولاد جميعًا.

قال الشيخ:

"وكل ذي غيبة يأبوب...وغائب الموت لا يأوب"

أولاد أيوب ماتوا، ومال أيوب ضاع، وصحة أيوب ذهبت، فلزم الأرض ثمانية عشر عامًا، **ومع ذلك كان يقول لرب العزة:** "اللهم ابتلي بما شئتُ في جسدي، ولا تجعل البلاء يتسرَّب إلى لساني، **حتى أظل أقول:** لا إله إلاَّ الله".

الله، يا رب!! "يا رب هب لي المتابة حتى أتوب...واحي قلبي في يوم تحيا القلوب" **يا رب، يا رب:**

انظر بعين الرضا لحالي...وكن أملي عند السؤالِ"

"فإنَّ لي قلب ضعيف.....ولي ذنوب مثل الرمالِ"

أيوب، أيوب، والبلاء يسري في جسده، **يقول لرب العزة:** "لا تجعل البلاء يُصيب لساني، **حتى أظل أقول:** لا إله إلا الله".

لا إله إلا الله، ومع ذلك جاءت زوجته ذات يوم بكسرة من الخبز؛ ليأكلها، **فسألها أيوب قبل أن يأكلها:** من أين أتيت بهذا الخبز؟ يسألها وهو الفقير الذي لا يملك من حطام الدنيا بعد أن كان ذا مال وقراع، ولكن فقره لم يمنعه أن يسأل عن مصدر رغيف العيش، أمن الحلال هو أم من الحرام؟

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، يا أيوب، يا نبي الله.

فتقول له الصابرة زوجته: كنت عند الجيران، وكان عندهم طفل طلب هذا الرغيف، ولكنه نام ونسي أن يأكله.

فقال لي أهل هذا الغلام: خذي هذا الرغيف لأيوب، فإنَّ الغلام قد نام.

فقال لها أيوب: أرجعي الرغيف للطفل، فربما قام من النوم فسأل عنه، فلم يجده فيحزن.

الله.. فيحزن، حتى رغيف العيش، فيسأل عنه أمن الحلال هو أم من الحرام؟

ويضيق صدرها برغيف عيش جاء من عند ناس برضاهم، **فتقول له:** أرجع به! وماذا أقول لهم؟!

ولكنها لابُدَّ أن تُلبِّي الأمر وتسمع الخطاب.

وترجع بالرغيف إلى أصحابه، **فيسألونها:** لماذا رجعت بالرغيف يا زوجة أيوب؟

فتقول:لأنّ أيوب قال لي: لربما استيقظ الغلام، فلم يجد رغيف الخبز فيحزن.

وبينما هي تتكلم مع أصحاب الرغيف، إذ استيقظ الغلام وسأل عن الرغيف وبكى، فلما رآه كفَّ عن البكاء.

قالوا: يرحم الله أيوب.. رغيف عيش!

إنَّ أحد الصالحين، رآه صاحبه في المنام بعد موته، **فقال له:** ما ذا فعل الله بك يا أخي؟

قال: سألني عن شيء لم يخطر لي على بال!

قال: عن شيء سألك ربك؟ **قال:** بينما أنا في الريف، أسير في طريق زراعي بين حقلين مزروعين بالقمح، إذ رأيت سنبلة في الأرض بين الحقلين، فرميته في الحقل الذي على اليمين.

فسألني ربي فقال: وما أدراك أنها ملك الذي على اليمين، وليست ملك الذي على الشمال؟

سنبلة قمح، ورغيف عيش.

كانت العارفة بالله رابعة، وهي بنت ست سنوات جالسة مع أهلها؛ فجاء الطعام، فلم تأكل!

فسألها أبوها: يا رابعة لو شاركتنا طعامنا؟

فقالت: يا أبت لم آكل حتى أعلم من الحلال هو أم من الحرام؟! **فقال لها:** عجبت لك يا رابعة، وإذا كان من الحرام

فلم نجد إلا هو، فماذا عزاك أن تكوني فاعلة؟ **فقالت الطفلة العارفة بالله:** يا أبتاه أصبر على جوع الدنيا، خير من أن أصبر على عذاب الله يوم القيامة. وقد كانت هذه وصية كل زوجة أين رسول الله ﷺ، أتدرون ماذا كانت الزوجة تقول لزوجها، وهو خارج يستفتح يومه ليبحث عن لقمة العيش؟ **أكانت تقول له:** لا تنسى أن تحضر لنا غسالة، أو ثلاجة، أو مفسديون، أو سخانا، أو غير ذلك من متاع الدنيا، ولو كان ذلك بسرقة الأموال العامة، ولو كان ذلك بقبض الرشاوى، ولو كان ذلك بالاختلاسات باسم الاشتراكية العفنة، ولو كان ذلك باسم الحرية الزائفة الملوثة، فماذا كانت تقول لزوجها؟ **كانت تقول الزوجة في عهد رسول الله ﷺ تقول لزوجها:** يا فلان اتق الله، ولا تأكل حراما، أننا أستطيع أن أصبر على الجوع في الدنيا، ولكننا لا نستطيع أن نصبر على عذاب يوم القيامة. وتعالوا إلى نساء العصر، كيف

يرهقن الأزواج من أمرهم عسرا، وكيف تعير زوجها إذا افتقر، وبالمرض إذا مرض. "إذا شاب شعر المرء أو قلَّ ماله...فليس له في ودهنَّ نصيب"يا فلان اتق الله ولا نأكل حراما، أننا نستطيع أن نصبر على الجوع في الدنيا، ولكننا لا نستطيع أن نصبر على عذاب الله يوم القيامة.**وإذا عاد آخر يومه، وفتحت له الباب، سألته سؤالين: السؤال الأول:** كم نزل من القرآن الكريم؟ **السؤال الثاني:** كم حفظت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟فإذا ما أخذ الزوج مضجعه لينام، توضأت وهيأت له نفسها، **ويرفق وأدب، تقول له:** ألك من حاجة إليَّ؟ فإذا لم تكن له حاجة إليها، **تقول له:** أتأذن لي أن أقوم الليل؛ لأقف بين يدي الله رب العالمين؟ مؤمنات، قانتات، صالحات، سائحات، عابدات، صائمات.

أما نبي الله أيوب عليه السلام الذي ضرب لنا أروع الأمثلة في الصبر على المرض، والصبر على فقد المال والولد، **فإنه**

يُسأل ذات يوم: يا أيوب أي شيء كنت تشكو وأنت مريض، فيقول أيوب: كنت أشكو شيئا واحدًا، هو شماتة الأعداء، شماتة الأعداء.

فضل فاتحة الكتاب:

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ}[الفاتحة] .

{الْحَمْدُ للَّهِ}: الحمد هو الثناء بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل. قال القرطبي: الحمد في كلام العرب معناه: الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس، فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه، والثناء المطلق. والحمد نقيض الذم. وهو أعم من الشكر، لأن الشكر يكون مقابل النعمة بخلاف الحمد، تقول: حمدت الرجل على شجاعته، وعلى علمه، وتقول: شكرته على إحسانه. والحمد يكون باللسان، وأمّا

الشكر فيكون بالقلب، واللسان، والجوارح. {رَبِّ الْعَالَمِينَ} : الربّ في اللغة: مصد بمعنى التربية، وهي إصلاح شؤون الغير، ورعاية أمره، قال الهروي: يقال لمن أقام بإصلاح شيء **وإتمامه:** قد ربّه، ومنه سميّ "الربانيون" لقيامهم بالكتب. **والرّب:** مشتقّ من التربية، فهو سبحانه وتعالى مدبّر لخلقه ومربيّهم، ويطلق الربّ على معان وهي: ((المَالك، والمصلح، والمعبود، والسيّد المطاع)) **تقول:** هذا ربّ الإبل، وربّ الدار، أي مالكها، ولا يقال في غير الله إلا بالإضافة. {العالمين} : جمع عالَم، والعالم: اسم جنس لا واحد له من لفظه كالرهط والأنام.

قال ابن الجوزي: العالم عند أهل العربية: اسم للخلق من مبدئهم إلى منتهاهم، فأمّا أهل النظر، فالعالَم عندهم: اسمٌ يقع على الكون الكلّي المُحْدَث من فلَك، وسماءٍ، وأرضٍ وما بين ذلك.

وقال الفرّاء وأبو عبيدة: العالَمُ عبارة عمن يعقل، وهم أربعة أمم: ((الإنس، والجنّ، والملائكة، والشياطين))، **ولا يقال للبهائم:** عالَم لأن هذا الجمع جمع من يعقل خاصةً.

وفي سورة الزمر: {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمر:٧٥] إنه مشهد رائع حافل، يبدأ متحركاً ثم يسير وئيداً حتى تهدأ كل حركة ويسكن كل شيء ويخيّم على الساحة جلال الصمت ورهبة الخشوع.

ويبدأ المشهد بالأرض جميعاً في قبضة ذي الجلال، وها هي السماوات جميعاً مطوّيات بيمينه. إنها صورة يرتجف لها الحسّ ويعجز عن تصويرها الخيال، ثم ها هي ذي الصيحة الأولى تنبعث، فيصعق من يكون باقياً على ظهرها من الأحياء. لقد أورد القرآن الكريم من أفانين القول في سياق محاجّة الكفار وتصحيح زيغ المحرّفين والوعد لأوليائه والوعيد لأعدائه ما يخرج عن طوق البشر الإحاطة بمثل هذه

الأساليب في أوقات متقاربة أو متباعدة، فالنفس الإنسانية لا تستطيع التحول في لحظات عابرة في جميع الاتجاهات بل تتأثر بحالة معينة. ولا تستطيع التحول عنها إلى اتجاه معاكس إلا ضمن بيئة ملائمة.

أما الأسلوب القرآني فيلاحظ فيه الانتقال في شتى الاتجاهات في لحظات متقاربة متتالية، وأحياناً تكون مترادفة. فمن مشرّع حكيم يقر الدساتير والأنظمة في تؤدة وأناة ورويّة، إلى وعيد وتهديد لمن يرغب عن التشريعات ويريه سوء المصير، إلى غافر يقبل توبة العبد إذا تاب وأناب، إلى معلم يعلم كيفية الالتجاء إلى الخالق سبحانه وتعالى بأدعية لا تخطر على البال، إلى مقر لحقائق الكون الكبرى، ومن مرئيات الناس ومألوفاتهم والتدرج بهم إلى أسرار سنن الله في الكون لنتأمل قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ(٦٧) لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٦٨) فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[الأنفال:٦٧ – ٦٩]. وأي إنسان علي ظهر هذه الأرض لم تدخل هذه المشاهدات في تجاربه؟أي إنسان مهما كان بدائياً لم يشهد نشأة جنينية ونشأ حياة نباتية ومسقط ماء وموقد نار ولحظة وفاة؟ إن انفراد الأسلوب القرآني بهذه الميزات لهو دليل مصدره الإلهي فما الأسلوب إلا صورة فكرية عن صاحبه. فالحذّاق من الكتّاب عندما يقرؤون قطعة نثرية أو قصيدة شعرية لكاتب ما يدركون بملكتهم الأدبيّة وحسّهم المرهف الحالة النفسية التي كان عليها الكاتب عند الكتابة بل يذهبون إلى أكثر من هذا، إلى ما وراء السطور فيستنبطون كثيراً من أوصافه النفسية والخلقية فيحكمون عليه أنه عاطفي المزاج أو قوي النفس أو صاحب عقل ودراية أو حقود أو منافق أو غير ذلك من الأمور الخاصة. ولا شكل

أن هذا إدراك شيء أعظم وأرقى من العلوم الظاهرة والتي تقف بأصحابها عند جودة الأسلوب ومتانته وقوة السبك ورصانته، فإذا كان الأدباء وأهل البلاغة يدركون هذه الحقائق بعد العلوم الاكتسابية التي تعلّموها ومارسوها فإن العربي الذوّاقة مواطن الجمال في الكلام، لا شك أنه كان من أعرف الناس بما وراء الألفاظ والكلمات وكان يدرك بنظرته السليمة وسليقته الصافية حقيقة الذات التي وراء الأسلوب. {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} : اسمان من أسمائه تعالى مشتقان من الرحمة، ومعنى { الرَّحْمَنِ}: المنعم بجلائل النعم، ومعنى: { الرَّحِيمِ}: المنعم بدقائقها. ولفظ {الرَّحْمَنِ} مبنيّ على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها، لأن بناء "فعلان" في كلامهم للمبالغة، فإنهم يقولون للشديد الامتلاء: ملآن، وللشديد الشبَع: شبعان. **قال الخطّابي:** ف {الرَّحْمَنِ} ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم،

وعمّت المؤمن والكافر. و{الرَّحِيمِ} خاص للمؤمنين كما قال تعالى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً} [الأحزاب: ٤٣]. **قال القرطبي**: «وأكثرُ العلماء على أن الرحمن مختصّ بالله عَزَّ وَجَلّ، **لا يجوز أن يسمّى به غيره، ألا تراه سبحانه قال**: {قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} [الإسراء: ١١٠]، **فعادَل الاسم الذي لا يَشْركه فيه غيره**: { أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف: ٤٥] فأخبر الرحمن هو المستحق للعبادة جلّ وعزّ، وقد تجاسر "مسيلمة الكذاب" لعنه الله فتسمى ب "رحمان اليمامة" ولم يتسمّ به حتى قرع مسامَعه نعت الكذّاب، فألزمه الله ذلك حتى صار هذا الوصف لمسيلمة عَلَماً يُعرف به». {مَالِكِ} بعض المفسرين يحاولون تحديد، أي: القراءتين أولى وتحديد صفة كل منهما ، لكن في الحقيقة ليس هناك قراءة أولى من قراءة ، فكلتا القراءتين متواترة نزل بهما الروح الأمين ليجمع بين معنى المالك والملك. المالك من التملك

والملك بكسر الميم ((بمعنى الذي يملك الملك)) وملك بكسر اللام من الملك بضم الميم والحكم ، والمالك قد يكون ملكا وقد لا يكون والملك قد يكون مالكا وقد لا يكون. المالك يتصرف في ملكه كما لا يتصرف الملك "بكسر اللام" والمالك عليه أن يتولى أمر مملوكه من الكسوة والطعام والملك ينظر للحكم والعدل والإنصاف. المالك أوسع لشموله العقلاء وغيرهم والملك هو المتصرف الأكبر وله الأمر والإدارة العامة في المصلحة العامة فنزلت القراءتين لتجمع بين معنى المالك والملك وتدل على انه سبحانه هو المالك وهو الملك .
{يَوْمِ الدين} : يوم الجزاء والحساب، أي أنه سبحانه المتصرّف في يوم الدين، تصرّف المالك في ملكه، والدينُ في اللغة: الجزاءُ، ومنه قوله عليه السلام : ((إفعل ما شئت كما تدين تدان))[1] أي: كما تفعل تجزى. وقوله تعالى: {أَإِنَّا

---

[1] حديث أبى قلابة المرسل: أخرجه عبد الرزاق فى الجامع عن معمر

لَمَدِينُونَ} [الصافات: ٥٣] أي مجزيّون محاسبون، ومنه الديّان في صفة الله عَزَّ وَجَلَّ.{إِيَّاكَ نَعْبُدُ} : نعبدُ: نذلّ ونخشع ونستكين.

معنى العبودية:

لأن العبودية معناها: الذلّة والاستعانة، **مأخوذ من قولهم:** طريق معبّد أي مذلّل وطئته الأقدام، وذلّلته بكثرة الوطء، حتى أصبح ممهداً. فقد قدّم المفعول به " إياك " على فعل

(١٧٨/١١ ، ح / ٢٠٢٦٢)، والبيهقي في الزهد (٢٧٧/٢ ، ح / ٧١٠).

وتمام لفظه: ((عن أبي قلابة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

البر لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديان لا يموت، فكن كما شئت كما تدين تدان)).

العبادة وعلى فعل الإستعانة دون فعل الهداية قلم يقل إيانا اهد كما قال في الأوليين، وسبب ذلك أن العبادة والإستعانة مختصتان بالله تعالى فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به. وهذا نظير قوله تعالى {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}[الزمر: ٦٦]، وقوله: {وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[البقرة: ٧٢] فقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين؛ وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى.

قال الزمخشري: العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه ثوبٌ ذو عَبَدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج، ولذلك لم تستعمل إلاّ في الخضوع لله تعالى، لأنه مولى أعظم النعم. فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع.

والمعنى: لك اللهمّ نذل ونخضع ونخصك بالعبادة لأنك المستحق لكل تعظيم وإجلال، ولا نعبد أحداً سواك. {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} هذه كـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} **باعتبار الجماعات الثلاث:** أي

نحن معاشر الأعضاء ومعاشر الموحّدين ومعاشر الكائنات نطلب منك التوفيق والإعانة على كل الحاجات والمقاصد التي أهمها عبادتك. كرَّرَ "إياك" لتزيد لذة الخطاب والحضور؛ ولأن مقام العيان أعلى وأجلّ من مقام البرهان، ولأن الحضور أدعَى إلى الصدق وبأن لا يكذب، ولاستقلال كلٍّ من المقصدين. واعلم! أنَّ نظم "نستعين" مع "نعبد": كنظم الأجرة مع الخدمة، لأن العبادة حق الله على العبد، والإعانة إحسانُه تعالى لعبده. وفي حصر "اياك" إشارة الى ان بهذه النسبة الشريفة التي هي العبادة والخدمة له تعالى يترفَّعُ العبد عن التذلل للأسباب والوسائط، بل تصير الوسائطُ خادمةً له وهو لايعرف الا واحدا، فيتجلى حُكْمُ دائرة الاعتقاد والوجدان كما مر. ومن لم يكن خادما له تعالى بحق يصير خادماً للأسباب ومتذللاً للوسائط. لكن يلزم على العبد وهو في دائرة الأسباب أن لا يهمل الأسباب بالمرة لئلا يكون

متمردا في مقابلة النظام المودع بحكمته ومشيئته تعالى؛ لأن التوكل في تلك الدائرة عطالة كما مر. والاستعانة: طلب العون، قال الفراء: أعنتهُ إعانةً، واستعنتهُ واستعنت به، وفي الدعاء: ربّ أعنّي ولا تُعِنْ عليّ، ورجل معوان: كثير الإعانة للناس، وفي حديث ابن عباس: ((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله))[1] والمعنى: إيّاك ربنا نستعين على

---

[1] حديث ابن عباس: أخرجه الترمذى (٦٦٧/٤ ، ح / ٢٥١٦) وقال: حسن صحيح. وأحمد (٢٩٣/١ ، ح / ٢٦٦٩)، والحاكم (٦٢٣/٣ ، ح / ٦٣٠٢) وقال: عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس. والضياء (٢٥/١٠ ، رقم ١٥)، وأبو يعلى (٤٣٠/٤ ، رقم ٢٥٥٦).

وتمام لفظه: ((عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال : يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا

طاعتك وعبادتك في أمورنا كلها، فلا يملك القدرة على عوننا أحد سواك، وإذا كان من يكفر بك يستعين بسواك، فنحن لا نستعين إلا بك. إنَّ الحق عز وجل قد أعلن في مفتتح تفصيل البيان المجمل في سورة الفاتحة أن القرآن الكريم هو الكتاب البعيد المنزلة العليّ القدر الذي لا قِبَلَ لأحد أن يستشرف إلى اللحوق به، وهو القائم الشاهد الذي لايغيب بما أشار إليه اصطفاء اسم الإشارة للبعيد "ذلك" وكأنَّ في هذا

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعتْ الأقلام وجفت الصحف)). رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي: ((احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لك يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)) .

إشارة إلى الصراط المستقيم المطلوب الهداية إليه في سورة الفاتحة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، فقال: ذلك الصرط المستقيم الذي تطلبون الهداية إليه هو "الكتاب" وبما أشار إليه التعريف باللام "الكتاب" واصطفاء كلمة "كتاب" الدالة على الجمع من جهة وعلى القضاء والحتم والتوثيق من أخرى، فهو البيان الجامع الموثَّق المحتوم الذي لايتأتى لأحدٍ من العباد أن ينقض بما أبرمه، فهذه معانٍ مكنونة في اصطفاء كلمة "كتاب" دون ذكر أو قرآنٍ، في هذا السياق، فلم يقل ذلك الذكر أو ذلك القرآن.

القرآن علي الشأن:

وأعلن أنَّ ذلك الكتاب البعيد الشأن العليّ القدر هو أيضًا بعيد كلَّ البعد عن أن يكون محلا للريب أو أن يكون أهلا لأنْ يرتاب فيه مرتابٌ يقوم ارتيابه من شيء في ما يرتاب فيه ، أمّا أولئك الذين يرتابون فيما ليس فيه ما يُغْرِي بريب، بل

يسقطون ما اعتمل في صدورهم من الريب على ما هو العليّ المنزه عن مثل ذلك فإنه لا اعتداد بمثلهم، وكأنَّ في هذا هداية وتعليماً للأمَّة ألا تعتد بكل ما تتقاذفه الألسنة من أقوال بل عليها أن تتحقق وأن تتثبت، وهذا الذي أفاده قوله "لاريب" فيه إلاحة وإيماء جاء البيان عنه إفصاحا في قول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }[الحجرات:٦]، و{اهْدِنَا}: فعل دعاء ومعناه: دلّنا على الصراط المستقيم، وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقُربك.

والهداية في اللغة: تأتي بمعنى الدلالة كقوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}[فصلت: ١٧] وتأتي بمعنى الإرشاد وتمكين الإيمان **في القلب كما قال تعالى:** {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ

يَشَآءُ}[القصص: ٥٦]، فالرسول ﷺ هادٍ بمعنى أنه دالّ على الله {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى:٥٢] ولكنه لا يضع الإيمان في قلب الإنسان. { الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}: الصّراط: الطريقُ، وأصله بالسين "السّراط" من الاستراط بمعنى الابتلاع، سميّ بذلك لأنّ الطريق كأنه يبتلع السالك.

قال الجوهري: الصرّاط، والسرّاط، والزّراط: الطريق.

والمفهوم من قوله: { يَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفَاتِحَة:٥]، ولذلك وصلَه به، فكأن الحق سبحانه، **يقول**: "يا عبادي احمدوني ومجدوني وأفردوني بالقصد وخُصدُّوني بالعبادة، وكونوا في ظاهركم مشتغلين بعبادتي، وفي باطنكم مستعينين بحولي وقوتي، أو كونوا في ظاهركم متأدبين بخدمتي، وفي بآطنكم مشاهدين لقدرتي وعظمة ربوبيتي".

وقال عليّ ﷺ: "الصراط المستقيم هنا القرآن"، **وقال جابر** ﷺ: "هو الإسلام" يعني الحنيفية السمحاء، **وقال سهل بن**

عبد الله: "هو طريق محمد صلى الله عليه وسلم": يعني اتباعَ ما جاء به. وحاصله ما تقدم من إصلاح الظاهر بالشريعة والباطن بالحقيقة، فهذا هو الطريق المستقيم الذي من سلطه كان من الواصلين المقربين مع النبيين والصدِّيقين. والعرب تستعير "الصراط" لكل قولٍ أو عملٍ وصف باستقامةٍ أو اعوجاج، والمراد به هنا ملّة الإسلام.

والمستقيم: الذي لا عوج فيه ولا انحراف، ومنه قوله تعالى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[الأنعام:١٥٣]. أي: هذا القريب منكم جداً، والظّاهر بما أنزلت عليكم من بيان حوله، والذي يتلاءم مع فطرة عقولكم ونفوسكم، وهو دين الإسلام هو صراطي حالة كونه مستقيماً لا اعوجاج فيه. ومعنى الآية: ثبّتنا يا ألله على الإيمان، ووفقنا لصالح الأعمال، واجعلنا ممن سلك طريق الإسلام، الموصل إلى

جنّات النعيم. {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}: النعمةُ: لينُ العيش ورغده، **تقول:** أنعمتُ عينَه أي سررتها، وأنعمتُ عليه بالغثُ في التفضيل عليه، والأصل فيه أن يتعدّى بنفسه، **تقول:** "أنعمتُه"، أي: جعلته صاحب نعمة، إلاّ أنه لمّا ضمنِ معنى التفضل عليه عدّي بعلى {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}.

الذين أنعم الله عليهم:

قال ابن عباس: هم النبيّون، والصدّيقون، والشهداء، والصالحون، وإلى هذا ذهب جمهور المفسّرين، وانتزعوا ذلك **من قوله تعالى:** {وَمَن يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عليْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَآء والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً} [النساء: ٦٩].

قدم الله على الرسول ثم قدم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم فبدأ بالأفضلين ، وهم النبيون ثم ذكر من يعدهم بحسب تفاضلهم. كما تدرج من الفئة القليلة إلى الكثرة فبدأ

بالنبيين وهو أقل الخلق ثم الصدّيقين وهم أكثر ثم الشهداء ثم الصالحين . فكل صنف أكثر من الذي قبله فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ، ومن الأفضل إلى الفاضل . ولا شك أن أفضل الخلق هم أقل الخلق إذ كلما ترقى الناس في الفضل قلّ صنفهم. و{المغضوب عَلَيْهِم}: هم اليهود لقوله تعالى فيهم: {وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ الله} [آل عمران: ١١٢]، وقال: {وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [الفتح : ٦].

أهل الضلال:

وقال في النصارى: {قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة : ٧٧]. **وقيل:** "المغضوب عليهم" المشركون. و"الضالين" المنافقون. **وقيل:** "المغضوب عليهم" هو من أسقط فرض هذه السورة في الصلاة و"الضالين" عن بركة قراءتها. حكاه السلمي في حقائقه والماوردي في تفسيره وليس بشيء.

قال الماوردي: وهذا وجه مردود؛ لأن ما تعارضت فيه الأخبار وتقابلت فيه الآثار وانتشر فيه الخلاف لم يجز أن يطلق عليه هذا الحكم.

وقيل: "المغضوب عليهم" باتباع البدع و"الضالين" عن سنن الهدى. وهذا حسن.

وتفسير النبي ﷺ أولى وأعلى وأحسن.

و"عليهم" في موضع رفع لأن المعنى غضب عليهم. والغضب في اللغة الشدة.

ورجل غضوب أي شديد الخلق. **والغضوب:** الحية الخبيثة لشدتها. **والغضبة:** الدرقة من جلد البعير، يطوى بعضها على بعض، سميت بذلك لشدتها.

أنني إذ أوضح معنى الغضب، ومعنى الغضب في صفة الله تعالى إرادة العقوبة، فهو صفة ذات وإرادة الله سبحانه وتعالى، القوي العزيز، ذو الطول، الرحيم تعالى من صفات

ذاته أو نفس العقوبة ومنه **الحديث**: ((إن الصدقة لتطفئ غضب الرب))[1] فهو صفة فعل.

ومن المجاز: الناس في هذا الأمر بواء أي سواء. وكلمناهم فأجابوا عن بواء واحد إذا لم يختلف جوابهم. وفلان طسب الباءة: للعفيف الفرج، جعل طيب الباءة، وهي المباءة والمنزل مجازاً عن ذلك.

وهو رحب المباءة: للسخي الواسع المعروف. وقرأ فلان كتاب الباءة إذا كان نكاحاً. **وقوله تعالى**: {مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ }[المائدة: ٦٠] لا

---

[1] **حديث أنس**: أخرجه الترمذى (٣/٢ ، ح /٦٦٤) **وقال**: حسن غريب. وابن حبان (٨/١٠٣، ح / ٣٣٠٩)، والضياء (٥/١٨ ، ح / ١٨٤٧).

وتمام لفظه: ((عن أنس بن مالك رضي الله عنه، **قال**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع عن ميتة السوء)) .

يفيد أكثر من مغايرته للمسخ في تلك الآية، كما قاله الألوسي في "تفسيره" **وهو ظاهر واللعنة في اللغة**: الطرد والإبعاد، والرجل الذي طرده قومه وأبعدوه لجناياته تقول له العرب رجل لعين. وفي اصطلاح الشرع: اللعنة: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ومعلوم أن المسخ من أكبر أنواع الطرد والإبعاد. و**{الضآلين}**: الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سَنَن القصد، وطريق الحق، والانحراف عن النهج القويم، ومن ذلك **ما ذكر الفخر الرازي في مناسبة الفاتحة لما بعدها في قوله تعالى**: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ}[الفاتحة:٧] المشهور أن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى، **وقيل**: إنه قول ضعيف، ويحتمل أن يكون المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقين، وذلك لأنه تعالى بدأ بذكر المؤمنين في سورة البقرة والثناء عليهم في خمس آيات، ثم أتبعه بذكر الكفار ثم أتبعه بذكر

المنافقين. **فعندما قال سبحانه وتعالى:** { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} فيه شيء من التثبيت والاستئناس، هذا الدعاء ارتبط بأول السورة وبوسطها وآخرها. الحمد لله رب العالمين مهمة الرب هي الهداية، وكثيرا ما اقترنت الهداية باسم الرب فهو مرتبط برب العالمين وارتبط بقوله الرحمن الرحيم؛ لأن من هداه الله فقد رحمه وأنت الآن تطلب من الرحمن الرحيم الهداية أي تطلب من الرحمن الرحيم أن لا يتركك ضالا غير مهتد ثم ، **قال:** { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فلا تتحقق العبادة إلا بسلوك الطريق المستقيم، وكذلك الاستعانة ومن الاستعانة طلب الهداية للصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم، أي: صراط الذين سلكوا الصراط المستقيم، ولا الضالين، والضالون هم الذين سلكوا غير الصراط المستقيم، فالهداية والضلال نقيضان، والضالين نقيض الذين سلكوا الصراط المستقيم. لكن لماذا اختار كلمة الصراط بدلا من الطريق أو

السبيل؟ لو لاحظنا البناء اللغوي للصراط هو على وزن "فعال بكسر الفاء"وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كالحزام والشداد والسداد والخمار والغطاء والفراش، هذه الصيغة تدل على الاشتمال بخلاف كلمة الطريق التي لا تدل على نفس المعنى. فالصراط يدل على أنّه واسع رحب يتسع لكل السالكين، أما كلمة طريق فهي على وزن فعيل بمعنى مطروق، أي: مسلوك، والسبيل على وزن فعيل، **ونقول:** أسبلت الطريق إذا كثر السالكين فيها لكن ليس في صيغتها ما يدل على الاشتمال. فكلمة "الصراط" تدل على الاشتمال والوسع هذا في أصل البناء اللغوي.

الصراط المستقيم:

قال الزمخشري: "الصراط من صرط كأنه يبتلع السبل كلما سلك فيه السالكون وكأنه يبتلعهم من سعته".

وفــي قولــه تعــالى: {الـضَّالِين} ضـلّ اللـبن فـي المـاء، أي: غاب، قال تعالى: {وقالوا أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرض} [السجدة: ١٠] أي : غبنا بالموت فيها وصرنا تراباً، والمراد بالضالين "النّصارى" لقوله تعالى فيهم: {قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السبيل} [المائدة:٧٧] .

وقال بعض المفسّرين: الأولى أن يُحمل {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم} على كلّ من أخطأ في الأعمال الظاهرة وهم الفُساق، ويُحمل {الضَّالُّون} على كل من أخطأ في الاعتقاد؛ لأنَّ اللفظ عامّ، والتقييد خلاف الأصل، والمنكرون للصانع والمشركون أخبثُ ديناً من اليهود والنّصارى، فكان الاحتراز عن دينهم أولى، وهذا اختيار الإمام الفخر.

قال القرطبي: "جمهور المفسّرين أن المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى، وجاء ذلك مفسّراً عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في حديث "عديّ بن حاتم" وقصة إسلامه".

وقـال أبـو حيـان: وإذا صـحّ هـذا عـن رسـول الله ﷺ وجـب المصير إليه. وما ذكره الفخر الرازي ليس فيه ردّ للمأثور، بل إنّـه عمَّم الحكم فجعلـه شـاملاً لليهود والنـصارى ولجميـع من انحراف عن دين الله، وضلّ عن شرعه القويم، حيث يدخل فـي اللفظ جميـع الكفّار والمنـافقين، وإليـك نـصّ كـلام الإمـام الفخر. قال رَحِمَـهُ اللّـهُ: «ويحتمل أن يقال المغضوب عليهم هـم الكفّار، والـضّالون هـم المنـافقون، وذلـك لأنـه تعـالى بـدأ بذكر المؤمنين والثنـاء عليهم فـي خمس آياتٍ من أوّل البقرة، ثم أتبعه بذكر الكفار، ثمّ أتبعه بذكر المنافقين، فكذا هنا بدأ بـذكر المـؤمنين وهـو قولـه: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} ثم أعقبـه بـذكر الكفـار وهـو قولـه:{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم} ثـمّ أتبعـه بـذكر المنافقين وهو قوله: {وَلاَ الضَّآلِين}. آمين: كلمـة دعـاء وليست من القرآن الكريم إجماعاً، بدليل أنها لا تكتب فـي المـصحف الشريـف، ومعناها: استجب دعاءنا يا رب.

قال الألوسي:ويسُنُ بعد الختام أن يقول القارئ: "آمين" لحديث أبي ميسرة ﷺ: الله أنّ جبريل أقرأ النبي ﷺ فاتحة الكتاب، **فلما قال**: {وَلاَ الضآلين} قال له: **قل**: آمين **فقال**: ((آمين)).[1] ويقولها المأموم لقراءة إمامه فقد أخرج مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري، **قال**: قال رسول الله ﷺ: ((إذا قرأ يعني الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، **فقولوا**: آمين يحبكم الله))[2]

---

[1] **أنظر**: تفسير الآلوسي (١ / ٧٨).

[2] **حديث أبي موسى**: أخرجه ابن خزيمة (ح / ١٥٩٣).

وتمام لفظه: ((عن حطان بن عبد الله الرقاشي، وهذا حديث عبدة، **قال**: صلى بنا أبو موسى الأشعري فلما جلس في آخر صلاته، **قال رجل منهم**: أقرت الصلاة بالبر والزكاة، فلما انفتل أبو موسى الأشعري، **قال**: أيكم القائل كلمة كذا وكذا؟ أما تدرون ما تقولون في صلاتكم؟ إن رسول الله ﷺ خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا، **فقال**: إذا صليتم فأقيموا صفوفكم، و ليؤمكم أحدكم، فإذا كبر الإمام كبروا وإذا قال غير

وإخفاؤها مذهب الحنفية، وهو مذهب أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه، وعبد الله بن مسعود، وعند الشافعية يجهر بها.

وعن الحسن: لا يقولها الإمام لأنه الدَّاعي.

وعن أبي حنيفة في رواية غير مشهورة مثله، والمشهور أنه يخفيها، وروى الإخفاء عن رسول الله ﷺ عبد الله بن مغفل وأنس رضي الله تعالى عنهما كما في "الكشاف" ورواية الجمهور محمولة على التعليم، وهذا القدر يكفي فيه وليست .. من القرآن إجماعاً، ولذا سن الفصل بينها وبين السورة بسكتة

المغضوب عليهم ولا الضالين، **فقولوا:** آمين يحبكم الله، وإذا كبر وركع فكبروا واركعوا، فإن الإمام يركع قبلكم ويرفع قبلكم. فقال نبي الله صلى صلى الله عليه وسلم: فتلك بتلك فإذا كبر وسجد فاسجدوا، فإن الإمام يسجد قبلكم و يرفع قبلكم)). زاد بندار فقال نبي الله ﷺ: فتلك بتلك.

لطيفة، وما قيل إنها من السورة عند مجاهد فمما لا ينبغي أن يلتفت إليه إذ هو في غاية البطلان، إذ لم يكتب في الإمام ولا في غيره من المصاحف أصلاً حتى ذكر غير واحد أن من، **قال:** إن آمين من القرآن كفر، وهي اسم فعل مبني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين والبحث عن أسماء الأفعال مفروغ عنه في "كتب النحو" والصحيح أنها كلمة عربية ومعناها استجب. **وقيل:** موضوعة لما هو أعم منه ومن مرادفه، ومن الغريب ما قيل إنه عجمي معرب همين لما أن فاعيل كقابيل ليس من أوزان العرب، وردّ بأنه يكون وزناً لا نظير له وله نظائر، ولذا قيل إنه في الأصل مقصور ووزنه فعيل فأشبع. ومن العجيب ما، **قيل:** إنه اسم الله تعالى والقول في توجيهه أنه لما كان مشتملاً على الضمير المستتر الراجع إليه تعالى.

قيل: إنه من أسمائه أعجب منه، وقد تمد ألفه وتقصر وإلى أصالة كل ذهب طائفة، وأما تشديد ميمه فذكر الواحدي أنه لغة فيه، **وقيل:** إنه جمع آم بمعنى قاصد منصوب باجعلنا ونحوه مقدراً، **وقيل:** إنه خطأ ولحن وحيث إنه ليس من القرآن بل دعاء ومعناه صحيح، **قال بعضهم:** لا تفسد به الصلاة وإن كان لحناً، وفضل هذه السورة مما لا يخفى ويكفي في فضلها ما روي بأسانيد صحيحة عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي بن كعب، **فقال:** يا أبيّ وهو يصلي فالتفت أبيّ فلم يجبه، فصلى أبيّ فخفف ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ، **فقال:** السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ((ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟)) **فقال:** يا رسول الله إني كنت في الصلاة، **قال:** ((أفلم تجد فيما أوحى الله إليّ أن استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم؟)) **قال:** بلى ولا أعود إن شاء الله تعالى.

قال: ((تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟)) **قال:** نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ((كيف تقرأ في الصلاة؟)) فقرأ بأم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده ما نزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها للسبع من المثاني، أو **قال:** السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته)).[1] والأحاديث في ذلك كثيرة ولا بدع فهي أم الكتاب والحاوية من دقائق الأسرار العجب العجاب حتى إن بعض الربانيين استخرج منها الحوادث الكونية وأسماء الملوك الإسلامية وشرح أحوالهم وبيان مآلهم، وبالجملة هي كنز العرفان بل اللوح المحفوظ لما يلوح في عالم الإمكان.

---

[1] **حديث أبي:** أخرجه الترمذي (ح / ٢٨٧٥).

قال ابن الأنباري: وأمّا "آمين" فدعاء، وليس من القرآن، وهو اسم من أسماء الأفعال ومعناه: اللهمّ استجب، وفيه لغتان: القصرُ "أمين" والمدّ "آمين" فالأول على وزن "فعيل"، والثاني على وزن "فاعِل".

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللّهُ في تفسيره "الظلال" ما نصه: "يردّد المسلم هذه السورة القصيرة، ذات الأيات السبع، سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة على الحد الأدنى وأكثر من ضعف ذلك إذا هو صلى السنن، **ولا تصح صلاة بغير هذه السورة لما ورد في الصحيحين:** ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)).(1) إن في هذه السورة من كليات العقيدة

---

(1) **حديث محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت: أخرجه البخارى** (٦٣/١ ، ح / ٧٢٣)، ومسلم (٩٥/١ ، ح / ٣٩٤)، والترمذى (٢٥/٢، ح / ٢٤٧) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٣٧/٢ ، ح / ٩١٠) ، وابن ماجه (٧٣/١ ، ح / ٨٣٧)، وأحمد (٤/٥ ، ح /

الإسلامية، وكليات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجهات ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار في كل ركعة. قال جعفر الصادق: "إنه لا بد قبل القراءة من التعوذ، وأما سائر الطاعات فإنه لا يتعوذ فيها، والحكمة فيه أن العبد قد ينجس لسانه بالكذب والغيبة، والنميمة، فأمر الله تعالى العبد بالتعوذ ليصير لسانه طاهراً، فيقرأ بلسان طاهر، كلاماً أنزل من رب طيب طاهر".

إرشاد الاستفتاح:

وفي افتتاح القرآن الكريم بهذه الآية إرشادٌ لنا أن نستفتح بها كلّ أفعالنا وأقوالنا، وقد جاء في الحديث الشريف: ((كلّ أمرٍ

٢٢٧٢٩)، والشافعى (٣٦/١)، وابن أبى شيبة (٦/١ ، ح / ٣٦١٨)، والدارمى (٣١٢/١، ح / ١٢٤٢) ، وابن خزيمة (٣٦/٣، ح / ١٥٨١)، وابن حبان (٨٦/٥، ح / ١٧٨٥) ، والدار قطنى (٣٢١/١).

ذي بال لا يُبْدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر))[1] أي ناقص.

قال ابن القيم: «وأما الجميع بين (الرحمن الرحيم) ففيه معنى بديع، وهو أنّ (الرحمن) دالّ على الصفة القائمة به سبحانه، و (الرحيم) دالّ على تعلقها بالمرحوم، وكأنّ الأول الوصفُ، والثاني الفعلُ، **فالأول**: دالّ على أن الرحمة صفته أي صفة ذات له سبحانه، **والثاني**: دال على أنه يرحم خلقه برحمته أي صفة فعل له سبحانه، فإذا أردتّ فهم هذا فتأمل **قوله تعالى**: {وَكَانَ بالمؤمنين رَحِيماً}[الأحزاب:٤٣]{ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:١١٧]، ولم يجيء قط رحمن بهم فعلمت أن (رحمن) هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته». **ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ**: وهذه النكتة لا تكاد تجدها في

[1] حديث أبي هريرة. ضعيف. أخرجه ابن ماجه (١/٦١٠، ح / ١٨٩٤).

كتاب. **ومجمل القول:** أنَّ معنى (الرحمن) المنعم بجلائل النعم، **ومعنى:** (الرحيم) المنعم بدقائقها.

قال أبو حيان في تفسيره «البحر المحيط»: «وقد انجرّ في غضون تفسير هذه السورة الكريمة من علم البيان فوائد كثيرة لا يهتدي إلى استخراجها إلاّ من كان توغّل في فهم لسان العرب، ورُزق الحظّ والوافر من علم الأدب، وكان عالماً بافتتان الكلام، قادراً على إنشاء النثار البديع والنظام، وفي **هذه السورة الكريمة من أنواع الفصاحة والبلاغة أنواع:**

الأول: حسنُ الافتتاح وبراعة المطلع، وناهيك حسناً أن يكون مطلعها مفتتحاً باسم الله، والثناء عليه بما هو أهله من الصفات العليّة.

الثاني: المبالغة في الثناء وذلك العموم (أل) في الحمد المفيد للاستغراق.

الثالث: تلوين الخطاب في قوله: { الْحَمْدُ للَّهِ} إذ صيغته الخبر ومعناه الأمر أي قولوا: الحمد لله.

الرابع: الاختصاص باللاّم التي في (لله) إذ دلّت على أنّ جميع المحامد مختصة به تعالى إذ هو مستحق لها جلّ وعلا.

الخامس: الحذف وذلك كحذف (صراط) من قوله تعالى: {غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِمْ وَلاَ الضآلين}، **التقدير**: غير صراط المغضوب عليهم، وغير صراط الضالين. **السادس**: التقديم **والتأخير في قوله**: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} **وكذلك في قوله**: {غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِمْ وَلاَ الضآلين} وقد تقدم الكلام على ذلك.

السابع: التصريح بعد الإبهام وذلك في قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم صِرَاطَ الذين أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ} حيث فسّر الصراط.

الثامن: الإلتفات وذلك في قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

التاسع: طلب الشيء وليس المراد حصوله بل دوامه واستمراره وذلك في قوله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، أي: ثبتنا عليه.

العاشر: التسجيع المتوازي وهو اتفاق الكلمتين الأخيرتين في الوزن والرّوي وذلك في قوله تعالى: {الرحمن الرحيم ... الصراط المستقيم} وقوله {نَسْتَعِينُ ... وَلاَ الضَّآلِّين}.

******

الفهرس